قافلة الزيت

ذو الحجة ١٣٩٤ (ديسمبر ١٩٧٤ - يناير ١٩٧٥)

«وأذن في الناس بالحج»

صدق الله العظيم



إحدى أشجار الزيتون المعمرة التي تمتاز بضخامة جذوعها

بسم الله الرحمن الرحيم

قافلة الزيت

العدد الثاني عشر المجلّد الثاني والعشرون

محتويات العدد

بحوث أدبية

بحوث علمية

استطلاعات مصورة

الغلاف الأمامي : تصوير شيخ أمين

شركة مطابع المطوع – الدمام
AL-MUTAWA PRESS COMPANY, DAMMAM

تصدر شهرياً عن شركة أرامكو لموظفيها
إدارة العلاقات العامة - توزع مجاناً

العنوان: صندوق البريد رقم ١٣٨٩ - الظهران - المملكة العربية السعودية

عيد مبارك

انه لمن دواعي غبطتي ان اغتنم فرصة حلول عيد الأضحى المبارك لأقدّم لزملائي المسلمين من موظفي شركة ارامكو ولأفراد عائلاتهم أخلص التهاني وأطيب التمنيات ضارعاً إلى المولى القدير أن يعيده عليهم جميعاً بالخير والبركات،
وكل عام وأنتم بخير

ف. جنقر

رئيس مجلس الادارة شركة ارامكو

كل عام وأنتم بخير

يطيب لهيئة تحرير «قافلة الزيت» أن تنتهز هذه المناسبة السعيدة لترفع إلى جلالة الفيصل المعظم وولي عهده الكريم وإلى حجاج بيت الله الحرام وإلى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وإلى قرائها الكرام أخلص التهاني وأسمى الأماني داعية إلى الباري جل وعلا أن يعيده عليهم جميعاً إلى أمثاله بالخير واليمن والاقبال.

هيئة التحرير

المدير العام: فيصل محمد البسّام المدير المسؤول: عبدالله صالح جمعة
رئيس التحرير: منصور مدني المحرر المساعد: عوني أبو كشك

الفقه الاسلامي

بين واقعه المعاصر ومحاولات التجديد فيه

«٢»

تحدثنا في مقالنا السابق* عن واقع الفقه الاسلامي ، التأليفي والدراسي والتطبيقي ، وذكرنا بعض المحاولات التجديدية التي بذلت للنهوض به . وبقي علينا استكمالا للبحث أن نتحدث عن المحاولة الكبيرة في انشاء موسوعة للفقه الاسلامي . وهي موضوع حديثنا هنا .

موسوعة الفقه الإسلامي

أمام ذلك الرصيد الضخم من الفقه الاسلامي في المذاهب الاسلامية في الكتب القديمة ، وازاء التحديات المختلفة للاسلام وشريعته ، تجدد الشعور بالحاجة الى موسوعة للفقه الاسلامي للاعتبارات الآتية:

تيسير معرفة الأحكام الفقهية التي في بطون أمهات الكتب القديمة

تيسير معرفة الأحكام الفقهية التي في بطون أمهات الكتب القديمة :

لست من هؤلاء الذين ينظرون الى كل قديم بمنظار قاتم ، ويرون في كتب الفقه القديمة طلاسم يصعب حلها، ويعتبرون أي تجديد تقدما ونصرا، فأصحاب أمهات كتب الفقه الأصلية قد أفنوا أعمارهم فيها قربة الى الله تعالى، وبذل كل واحد فيما ألفه من جهد ما يعجز عن القيام به في الوقت الحاضر المجامع والمؤتمرات . ولا تزال الأبحاث الجديدة مع ما فيها من تجديد لا تجد لها معينا تستقي منه سوى تلك المصادر الأولى التي يجب اجلال أصحابها والاعتراف بفضلهم والدعاء لهم جزاء ما قدموا للاسلام من ذخيرة فقهية عظيمة .

ولكنني أرى أن الممارسين لهذه الكتب والذين تمرسوا بها هم الذين يفهمون أسلوبها ويدركون الأحكام في مظانها – وهم قلة نادرة – ويظل أكثر الناس – حتى من المشتغلين بالفقه الاسلامي – يعانون كثيرا من الصعوبات في الاستفادة من تلك الكتب ، في معالجة قضايا الفقه الاسلامي ، ونستطيع أن نجمل ما يجده الباحث في أمهات كتب الفقه من صعوبات في الأمور الآتية :

• يجد صعوبة في البحث عن الحكم الجزئي ، حيث أن فهارس تلك الكتب فهارس مجملة مجلة تكتفي بذكر الأبواب ورؤس الموضوعات ، والموضوع الواحد قد يشتمل على مئات الأحكام الجزئية التي لا يرد لها ذكر في الفهرس . ولم يكن السابقون يعرفون طريقة الفهارس التحليلية التي تعين القارىء على سرعة الوصول الى ما يبتغيه في لحظات قليلة، ولم تخدم هذه الكتب في العصر الحاضر بفهرستها الا النزر اليسير بصورة لا تكفي بالغرض المقصود . بل ان عمل الفهارس وحده قد صار مرحلة أولى تتبعها مرحلة ثانية هي بيان موجز الحكم ، وهو ما يمكن أن يسمى بمعجم الكتاب .

فالفهرسة ضرورية لكتب الفقه الكبيرة التي تبلغ عدة مجلدات ، ويقع بعض أبحاثها في غير مظانه التي تخطر على بال الباحث ، وذلك ببيان موضع الحكم المبحوث عنه في الكتاب الأصلي ، فاذا ما أضيف اليها بيان موجز الحكم ساعد ذلك من يريد الاكتفاء بالمعجم عن الرجوع الى الكتاب الأصلي .

• ويجد الباحث في كتب الفقه الكبيرة صعوبة في الفهم فان أكثرها شروح وحواشي على متون ومختصرات . وكان أصحاب الحواشي يكتفون ببيان أول الجملة التي يريدون الكلام عنها من الشرح ، ثم ينصرفون الى شرحه أو التعليق عليه دون ربط متصل بالمتن ، مع التركيز الشديد في الأسلوب . فاذا قرأ الباحث وجد نفسه من ناحية أمام نصوص متفرقة لا يجمعها سياق واحد . ومن ناحية ثانية أمام أسلوب مركز لا يفهمه الا من اعتاد قراءة هذه الكتب ، وهذا مما يجعل العثور على الحكم الذي يبحث عنه صعبا في كثير من الأحيان .

• ويجد الباحث كذلك صعوبة في فهم الرموز والمصطلحات . فانها تشير الى كلمات مختزلة لأسماء المراجع أو المؤلفين . فمن أمثلة هذه الرموز مثلا في كتب الفقه الحنفي (ط ، سم ، ز ، ح) والمراد بتلك الحروف على التوالي (الطحاوي ، أبو يوسف ومحمد ، زفر ، الحلبي المداري) ولا بد من الرجوع الى الجزء الأول لمعرفة مدلول كل رمز منها .

ومن أمثلة هذه المصطلحات : الامامان أو الشيخان وهما أبو حنيفة وأبو يوسف ، والصاحبان وهما أبو يوسف ومحمد ، والأئمة الثلاثة : أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد وهكذا .

• وقد تكون صعوبة ادراك المراد بالمصطلحات ناشئة من اختلاف مدلولها عند المذاهب . فاذا لم يكن القارىء على المام بها أخطأ في فهم

* صدر المقال الأول من هذه الحلقة في جمادي الثانية ١٣٩٤هـ من «قافلة الزيت» .

بقلم: الأستاذ مناع القطان

الحكم نفسه . ومثال ذلك اصطلاح الفساد والبطلان عند الحنيفة ، فالفساد عندهم يقابله الصحة ، والبطلان يقابله عدم الانعقاد . وغير الحنيفة يجعل الفاسد كالباطل ، وكالوجوب عند الحنيفة ، فهو بين الفرض والسنة . أما غيرهم فالوجوب والفرض بمعنى واحد .

• ومعظم الناشرين لهذه الكتب القديمة يجمعون عدة كتب في كتاب واحد يوضع واحد منها أو أكثر داخل اطار ، وتوضع الكتب الأخرى في الحواشي خارج الاطار ، ويفصل بينها خط ، وهذا يجعل الباحث في حيرة أمام ثلاثة كتب أو أربعة في صفحة واحدة .

• ويجد الباحث في بعض هذه الكتب الآراء الفقهية الكثيرة التي نقلها المؤلف دون أن يعزو رأيا منها الى صاحبه ومصدره حتى يتيح للقارىء استئناف النظر فيها من خلال مراجعها الأصلية .

هذا بالاضافة الى أن كثيرا من المؤلفين في الفقه من أصحاب المذاهب ، لا يعتنون بذكر الأدلة ، من الكتاب والسنة ، وان ذكروا شيئا من الاستدلال بالسنة ، أوردوه دون تمحيص تعرف منه درجته ، أيجمع مشروط الصحة أم لا ؟ بل ان بعضهم يورد الأخبار الموضوعة التي لا أصل لها . ومنهج البحث اليوم يعتمد اعتمادا كبيرا على أصالة مصادره وقوة أدلته . هذه هي أهم الصعوبات التي يواجهها الباحث في كتب الفقه القديمة ما لم يكن ممارسا لها ، متخصصا فيها .

الحاجة إلى الموسوعة على الصعيد العالمي

اتسعت العلوم اتساعا كبيرا وتشعبت فيها الآراء والاتجاهات ، ولم يعد كافيا في أي فرع من فروع هذه العلوم أن تقرأ فيه كتابا واحدا حتى تلم بأطرافه الماما موضوعيا يشفي غلة الباحث ويطفيء ظمأه . وليس من السهل أن يحصل الباحث على كل ما كتب في موضوع ما ، فان علاج الموضوعات العلمية أصبحت مجالاته متعددة ، في الرسالة ، والمجلة ، والصحيفة والكتاب والوثيقة ، فاذا وقع الباحث على بعضها فسيظل بعضها بعيدا عنه . وليس من السهل عليه كذلك اذا تيسر له جميع ما كتب في الموضوع أن يقرأ كل ما كتب . ولا سيما اذا كان يريد معرفة جزء منه . والكتب المؤلفة ، منها ما هو في موضوعات متعددة وان كان في علم واحد ، ومنها ما هو في موضوع بعينه ، والموضوع له عناصره ، وليس هناك سوى الفهرسة الاجمالية التي تشير الى الباب أو الفصل ، أو المسألة . فمتى يحصل الباحث على العنصر الذي يريد في كافة المصادر التي تناولته ؟ ان هذا أمر عسير للغاية . وقد خطا التأليف في العصر الحديث خطوة في هذا السبيل تيسر البحث ، تلك الخطوة هي ما يعرف بالفهرسة بأنواعها وأساليبها المختلفة ، التي يمكن معرفة تفاصيلها من الكتب المتخصصة في هذا الميدان أمثال فهرس رجال السند ، فهرس الاعلام ، فهرس أسماء الأماكن ، فهرس أسماء الكتب ، فهرس الآيات القرآنية ، فهرس الأحاديث النبوية ، فهرس الأبواب ، فهرس الفصول ، فهرس الموضوعات ، فهرس المصادر الى غير ذلك من الفهارس التي تختلف باختلاف الكتب ، ويكون بعضها حسب ترتيب موضوعات الكتاب كفهرس الموضوعات ، وبعضها حسب أبجدية الحروف مع غض النظر عن الترتيب في الكتاب وهكذا دواليك .

ثم تقدمت الوسائل الفنية في هذا الميدان بعد أن كثرت الكتب والمجلات والوثائق التي ينبغي للباحث الرجوع اليها ، وأصبحت الوسائل التقليدية لا تفي بالغرض ، ولا تسعف الباحث فاستخدم العلم الآلة في خدمة الانسان ، فوفر له الجهد الكبير والوقت الطويل بانجاز العمل في سرعة مدهشة ، وشمل استخدام الآلة جمع المعلومات بما يعرف « بالأدمغة الالكترونية » (١). واستخدمت هذه « الأدمغة الالكترونية » في مشروع مركز الاعلام الحقوقية والقانونية التي تتسع لتخزين كافة التشريعات والأحكام والنظم القانونية من كافة بلدان العالم لتكون في خدمة رجل القانون .

ولا ينبغي بحال من الأحوال أن تكون الشريعة الاسلامية بمنأى عن الاستفادة منها في هذه المراكز . واذا ظلت أحكام الفقه الاسلامي في بطون الكتب القديمة دون ترتيب موضوعي ، وفهرسة جزئية تفصيلية ، وجمع لما تناثر منها في غير مكانه فان القائمين على مشروع مراكز الاعلام القانوني يجدون العذر كل العذر في أغفال الاستفادة من

(١) اوصى مركز السلام العالمي بانشاء مركز دولي للاعلام القانوني في جنيف لهذا الغرض . مجلة الوعي الاسلامي عدد ٦٧ رجب ١٣٩٠هـ – ركن الموسوعة .

الفقه الاسلامي ضمن برامج هذا المشروع . لذا كانت الحاجة ماسة الى موسوعة فقهية تستخرج الأحكام من بطون أمهات مراجع الفقه الاسلامي في المذاهب المختلفة وتعرضها باسلوب موطأ الأكناف ميسر الفهم ، مرتب الموضوعات ، مقسم الفقرات ، حتى يسهل الاحالة اليها ، وهذا من مستلزمات « الأدمغة الالكترونية » تمهيدا لتلبية طلبات الراغبين في معرفة أحكام الفقه الاسلامي في مشارق الأرض ومغاربها ، بعد صياغتها بالعربية ثم ترجمتها الى اللغات الأجنبية .

وإذا كان المستشرقون قد عنوا بالدراسات الاسلامية في الجامعات الأوروبية والأمريكية التي تعتني بتدريس الشريعة الاسلامية وأشرفوا على رسائل لنيل درجة الدكتوراة في الشريعة ، فان انتاجهم لا يعدوا أن يكون دراسات موجزة ، ومع هذا فانه لا يصح الاعتماد عليها لما فيها من أخطاء فاحشة لا نستغرب وجودها . فان هؤلاء القوم اذا أحسنا الظن بهم يقصر فهمهم عن ادراك الأحكام الفقهية في الشريعة الاسلامية لصعوبة المراجع الفقهية القديمة ، ووعورة مسالكها أمامهم . فكيف ونحن نعلم أن بعضهم من اليهود والقساوسة الذين يحقدون على الاسلام ، وتنطوي كتاباتهم على الكثير من الدس الخبيث ، والتحريف الملتوي المقصود ؟

لقد كثر الاهتمام بالدراسات القانونية المقارنة تمهيدا لاختيار الأصلح منها ، وسعيا وراء توحيدها بين دول العالم كله أو جله ، ففي ظل هيئة الأمم المتحدة تأسست سنة ١٩٤٩م تحت اشراف اليونسكو « اللجنة الدولية للقانون المقارن » وهي تتابع نشر دراسة القوانين الأجنبية في العالم ، وتقوم منذ عام ١٩٦٤م باعداد موسوعة دولية للقانون المقارن ، وهناك مجامع دولية للقانون المقارن في كثير من البلاد الأوربية تسعى لتحقيق هذا الغرض نفسه ، وتصدر العديد من الدراسات القانونية المقارنة . هذه اللجان والمجامع تعترف بأهمية أحكام الفقه الاسلامي ، وتتعلل بعجزها عن الاستفادة منها لصعوبة أسلوبها ، وتناثر أحكامها ، فاذا تحقق مشروع موسوعة الفقه الاسلامي وترجم الى اللغات الأجنبية الحية ، زالت هذه العلة .

هذا وان تلك المراكز والمجامع القانونية الدولية تعقد من حين لآخر مؤتمرات عامة تدعى اليها الدول الاسلامية لدراسة بعض المشاكل القانونية . وارتفاع صوت الشريعة الاسلامية في هذه المؤتمرات يتيح الفرصة في الأوساط القانونية الدولية للتعريف بمزايا الشريعة ، ودفع الشبهات عنها ، وقدرة فقهها الغزير على امداد هذه المؤتمرات بالمفيد القيم من البحوث والنظريات ، وموسوعة الفقه الاسلامي ، تيسر معرفة الأحكام الفقهية وتيسر عرضها في هذه المجالات .

مشاريع موسوعات الفقه الإسلامي [1]

لقد نجم عن الشعور بالحاجة الى موسوعات فقهية تيسر سبيل البحث الفقهي أن قامت عدة مشاريع نذكر منها ما يلي :

مشروع كلية الشريعة بجامعة دمشق

حين أنشئت كلية الشريعة في دمشق ، وتولى عمادتها الداعية الاسلامي الدكتور مصطفى السباعي — رحمه الله — قام بأوجه نشاط عدة مستعينا برجال مختارين من الهيئة العاملة في جامعة دمشق ومن خارجها . وكان من ثمار ذلك مشروع موسوعة الفقه الاسلامي الذي تبنته الكلية ، وصدر به مرسوم جمهوري سنة ١٩٥٦م ، وقد تضمنت مواد هذا المرسوم الخطوط العامة للمشروع :

المادة الأولى : تصدر كلية الشريعة الاسلامية في الجامعة السورية موسوعة (دائرة المعارف) للفقه الاسلامي ، غايتها صياغة مباحث الفقه الاسلامي بمختلف مذاهبه ، وافراغها في مصنف جامع مرتب على غرار الموسوعات القانونية الحديثة بحيث :

أ — يعرض مواد الفقه الاسلامي عرضا علميا حديثا .

ب — ويسهل الرجوع الى نصوصه في كل موضوع للاستفادة منها الى أبعد حد .

ج — ويرشد الباحثين الى مصادر هذا الفقه ومواطن كل بحث فيه .

المادة الثانية : توضع موسوعة الفقه الاسلامي هذه باللغة العربية ، ولمجلس الجامعة السورية بناء على اقتراح كلية الشريعة أن يترجمها الى اللغات الأخرى أو يسمح بترجمتها اليها بشروط يحددها .

المادة الثالثة : يشرف على اصدار هذه الموسوعة وما يتصل بها « لجنة موسوعة الفقه الاسلامي » يؤلفها مجلس الجامعة بناء على اقتراح مجلس كلية الشريعة على أن لا يتجاوز عددها سبعة أشخاص .

هذا وقد تألفت لجنة موسوعة الفقه الاسلامي من الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله والدكتور أحمد السمان رحمه الله والاستاذ مصطفى الزرقا ، والدكتور معروف الدواليبي ، والدكتور يوسف العش .

ورأت هذه اللجنة بعد البحث والدراسة أن المرحلة الأولى للعمل تقتضي تحقيق أمرين :

- تحديد الموضوعات الفقهية التي تبحث في الموسوعة تحت عنوان مفرد — أي كلمة مفردة — دون مراعاة لترتيب أبواب الفقه المعروفة .
- فهرسة ما أمكن من أمهات كتب الفقه المعتمدة وترتيب تلك الفهارس على الحروف الأبجدية ليسهل على من يشارك في تحرير الموسوعة الرجوع الى ما يريد دون مشقة (٢) .

---

(١) انظر " تراث الفقه الاسلامي " للدكتور جمال الدين عطية

(٢) قام الأستاذ محمد المنتصر الكتاني بفهرسة كتاب « المحلى » لابن حزم ، والأستاذ أحمد مهدي الخضر بفهرسة كتاب « حاشية ابن عابدين » والاستاذ محمد الأشقر — أخيراً — بفهرسة « المغني » لابن قدامة .

وكان معجم « المحلى » لابن حزم الظاهري أول عمل لخدمة المشروع ، وهو يورد الكلمة بصيغتها الاصطلاحية بما فيها من حروف أصول وزوائد ويحيل الى أماكنها ويذكر خلاصة الحكم الفقهي الذي استقر عليه ابن حزم ، ففي حرف الألف مثلا توجد الكلمات : آل البيت ، آنية ، آب ، اباحة ، ابراء ، أبكم ، ابليس ، أبو بكر ، اجارة ، اجتهاد ، أجرة ، اجماع ، اجهاض ، احباس ، احتكار ، احداد ، احرام ، احصار ، وهكذا .

منهج الموسوعة

ويتلخص منهج الموسوعة في الأمور الآتية :

• **غاية الموسوعة :** الغاية من الموسوعة هي جمع التراث الفقهي المبعثر في كتب الفقه الاسلامي على اختلاف مذاهبها جمعا مرتبا ميسرا توجيهيا بحيث يكون مادة قريبة التناول للباحث ، وهاديا لمن يريد التوسع الى المصادر نفسها .

• **المذاهب :** يترتب على هذه الغاية من الموسوعة أن تكون الموسوعة حاوية لكل المذاهب والآراء في الفقه الاسلامي بقدر الامكان ، فيجب أن تتضمن المذهب الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي . كما يجب أن تتضمن أيضا مذاهب أخرى كالظاهري والزيدي والامامي والاباضي ، وخوفا من التكرار رأت لجنة الموسوعة اتخاذ المذهب الحنفي — باعتباره المذهب السائد في البلاد أساسا لعرض الموضوع . ثم تذكر وجوه الخلاف بين هذا المذهب والمذاهب الأخرى ، الا اذا اقتضى البحث في موضوع من الموضوعات اختيار مذهب أساسي آخر أوسع من المذهب الحنفي ، كما في مسألة الشروط في العقود ، اذ أن دائرة الشروط الصحيحة في المذهب الحنفي أضيق منها في مذاهب أخرى كالمذهب الحنبلي فيحسن عرض الموضوع على أساس الاجتهاد الحنبلي .

طريقة الموسوعة وترتيبها

أ — فضلت اللجنة ترتيب الموسوعة حسب الحروف الهجائية (أ — ب — ت — ث — ج) الخ .

ب — ترد كل مادة تحت الحرف الأول لها ، فكلمة (اجارة) ترد تحت حرف الألف ، وكلمة (بيع) تحت حرف الباء ، وكلمة (صلاة) تحت حرف الصاد .. وهكذا .

ج — والعبرة في تحديد الحرف الأول من الكلمة بالكلمة الفقهية نفسها لا بأصولها المجردة ولا بالمصدر باعتبار الموسوعة سجلا فقهيا وليست قاموسا لغويا ، فالكلمة الفقهية أقرب الى ذهن الباحث من الأصل المجرد أو مصدرها، فكلمة (مزارعة) مثــلا تأتي تحت حرف الميم لا تحت حرف الزين .

د — ويحال عقب البحث الى المواد المتشابهة أو المشتركة أو المتصلة ، ففي البيع مثلا ، يوجه نظر القارىء للرجوع الى « مقايضة » والى « سلم » والى « صرف » .

تقسيم الموضوعات

تقسم الموضوعات الى ثلاثة أقسام :

أ — موضوعات شاملة كالبيع .

ب — موضوعات مستقلة كالخيار فهو داخل في موضوعات شاملة كالبيع ولكنه يكون موضوعات مستقلة .

ج — مواد احالة وهي التي تدخل في الموضوعات الشاملة أو المستقلة ولكن يجب ايرادها تحت حرفها ثم الاحالة الى مواضعها تسهيلا على الباحث . مثال مثمن: في حرف الميم ولكن يحال الباحث الى مادة « مبيع » وهكذا .

وعلى الكاتب في كل حال أن يذكر المراجع بطبعاتها .

أسلوب الكتابة

يجب على الكاتب أن يعرض الموضوع بأسلوب خال من التعقيد اللفظي ، ويحسن ان أمكن أن يستعمل الكاتب عبارة الكتب الفقهية نفسها اذا وجد عبارة من كتاب فقهي تؤدي الى المعنى بوضوح وبساطة . فينقلها بذاتها بين قوسين محيلا الى المرجع الذي نقلت عنه .

• **مراحل العمل :** ويجتاز هذا العمل الضخم مراحل وهي :

المرحلة الأولى : وهي المرحلة الحالية — مرحلة جمع ألفاظ الفقه الاسلامي من كتب المذاهب الأربعة المعروفة ومذهب أهل الظاهر .

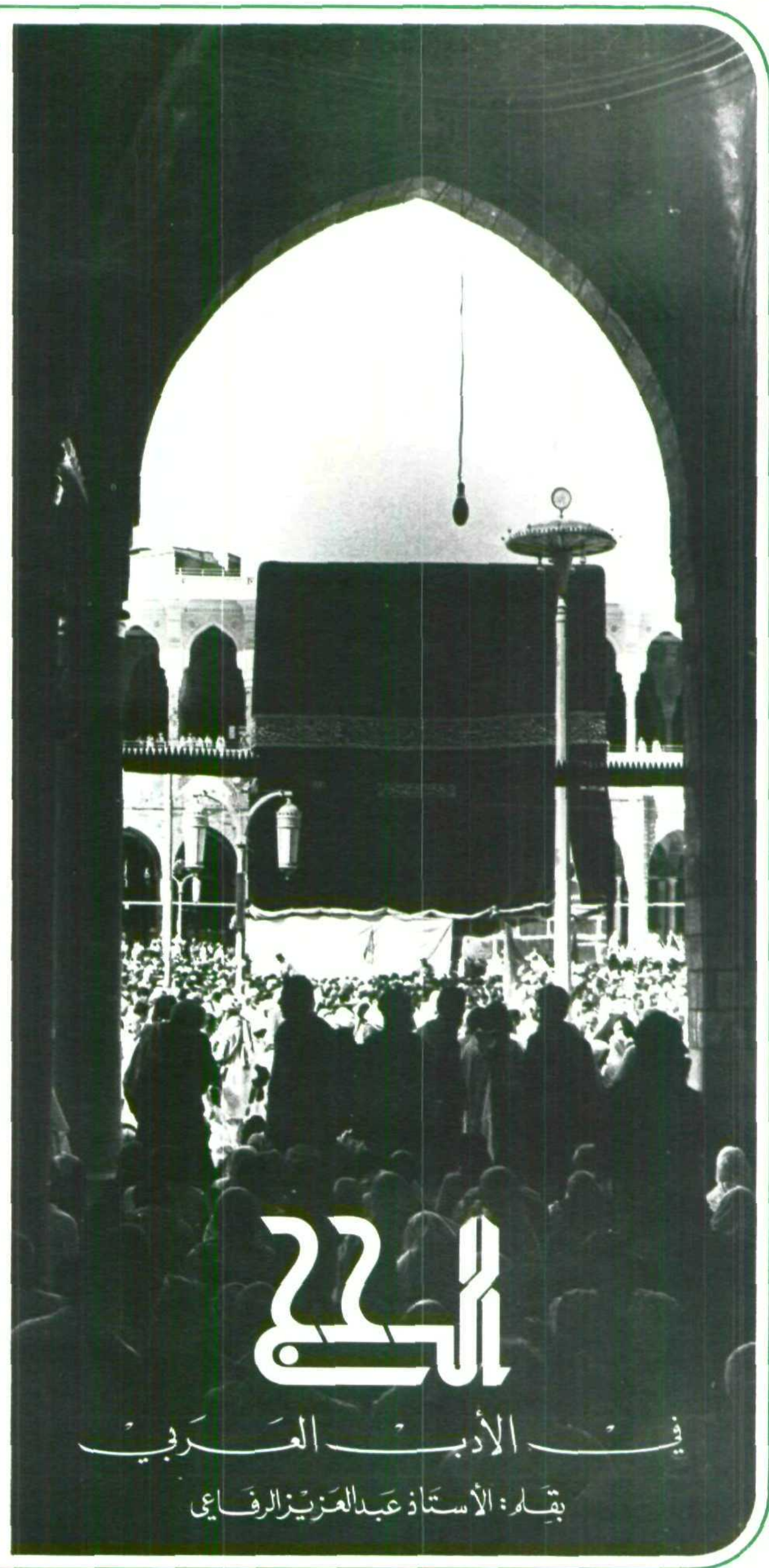
المرحلة الثانية : هي مرحلة وضع المخططات للبحوث على ضوء الألفاظ المستخرجة في المرحلة الأولى .

المرحلة الثالثة : هي استكتاب العلماء وفقا للمخططات الموضوعة .

المرحلة الرابعة : هي مراجعة البحوث المكتوبة التي ترد الى اللجنة والتنسيق بينها وتهيئتها للطبع . وقد قام الدكتور محمد زكي عبد البر بعمله في المرحلة الأولى ولم ينجزها انجازا كاملا .

ذلك عرض موجز لمشروع موسوعة الفقه الاسلامي الذي تبنته كلية الشريعة بجامعة دمشق . وقد تطور هذا المشروع فيما بعد ، وسوف نتحدث عنه وعن مشروعات أخرى في العدد القادم ان شاء الله ■

مناع القطان
المعهد العالي للقضاء بالرياض



منذ تحولت مكة الى حاضرة ، تعمر بمجتمع مستقر ، بعد ان وضع ابراهيم البيت الحرام بها .. ودعا الناس الى الحج .. منذ ذلك الحين دخل الحج ، تاريخ الأمة العربية ، وذكر في لغتها وآدابها ، وعمل عمله في تطوير اللغة ، وتطوير الادب ، كما عمل عمله في تكوين المجتمع العربي في مكة ، الذي اصبح مجتمعاً قرشياً فيما بعد .

بيد انه ليس بوسع الباحث ان يلاحق ذلك التاريخ من بدايته .. لأن حلقات كثيرة منه لا تزال مجهولة .. وليس بين ايدينا الآن من مدونات ذلك التاريخ ، الا ما تناهى الينا عن طريق الشعر في العهد الجاهلي القريب .. ثم ما وصل الينا بعد عهد التدوين .. وبحسب علمي فان موضوع علاقة الحج بالأدب واللغة لم يفرد له بحث خاص مستفيض .. اللهم الا نتف او مقالات ، او فصول في بطون بعض الكتب .. ولعل كتب الرحلات ، كانت احفل تلك الكتب بالحديث عن هذا الجانب .

وأهم ما يستنتجه الباحث ، هو دور الحج في تصفية اللغة العربية ، وعمله في توحيد لهجتها ، او مقاربة لهجاتها بعضها الى بعض ..

ولقدكانت سوق عكاظ بالطائف ، أهم الأسواق العربية في الجاهلية ، فقد عنيت الى جانب عنايتها البالغة بالتبادل التجاري ، بين القبائل العربية – عنيت أيضاً بالشعر .. فكانت الميدان الأكبر ، لما يمكن ان اسميه بالتبادل الثقافي ، وعن طريقها ، تهذبت اللهجات العربية ، ثم توحدت في اللهجة القرشية ، التي أصبحت بعد العهد الاسلامي ، هي اللهجة السائدة ..

هذه السوق ، اعني سوق عكاظ .. كانت تقام قبيل الحج ، وكانت القبائل التي تقصد البيت الحرام تمر بهذه السوق اولاً ، لتعرض منتجاتها ، او لتعرض ايضاً مفاخرها ، وشعراءها .. وليكون هناك ايضاً سوق للنقد الدقيق ..

وعن طريق هذه السوق ، وعن طريق الحج ، دخلت المعلقات الى تاريخ الأدب العربي .. لأن هذه القصائد الطوال ، كانت تعلق في جوف الكعبة ، على مشهور الأقوال .. ومعنى هذا ان الشعر كان في العهد الجاهلي يحج هو الآخر الى الكعبة ..

على ان الشعر ليس وحده الذي كان يعلق في الكعبة .. فقد كان « النثر » ايضاً ، يعلق بجوفها فهذه السيرة تحدثنا ان المواثيق والعهود ، التي كانت تهم بها قريش ، كانت تكتبها





وتعلقها في جوف الكعبة ، دلالة على احترامها والتزامها . . وعن طريق هذه المعلقات النثرية ، عرفنا صيغة العهود والمواثيق التي كانت تكتب في ذلك العهد . .

وما دام للكعبة احترامها الكبير في نفوس الجاهليين ، فلا غرو ان وجدنا بعض الشعراء .. يصفون رحلتهم الى الحج ، كما فعل النابغة الذبياني ، في قصيدته التي مطلعها (بانت سعاد وامسى حبلها انجذما) . . كما نجد التعبير عن احترام « البيت » والحلف بالبيت او ما يتصل به ، او بالنوق التي تحمل الحجاج ، الى آخر ما كان سائداً في ذلك العصر الجاهلي من تعابير تـرد في شعرهم تدل على ما للبيت من مكانة في نفوسهم . . فهذا زهير بن ابي سلمى ، يقول مثلاً :

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله
رجال ، بنوه من قريش وجرهم
يمينا ، لنعم السيدان وجـدتمـا
على كل حال من سحيم ومـبرم

وقد ترد بعض اماكن مكة المشهورة في اشعارهم ، كما ورد ذكر « الأبطح » مثلاً في معلقة عمرو بن كلثوم :

وقد علم القبائل مـن معـد
اذا قبب بابطحهـا بنينـا

أما تعظيم قريش ذاتها ، ومن قبلها جرهم ، للبيت الحرام ، وتمدحهم بحمايته ، وافتخارهم بالانتماء اليه فأمر مشهور معروف ، ويكفي ان اشير في هذا المجال الى قصيدة ابي طالب اللامية التي يقول في مطلعها :

ولما رأيت القـوم لا ود فيهـم
وقـد قطعوا كل العرى والوسائل

فقد عدد فيها جانباً من معالم مكة ومشاعرها. كقوله :

وثور ، ومـن ارسى ثبيراً مكانـه
وراق ليرقى في حـراء ونازل
وبالبيت حق البيت من بطن مكة
وبالله .. ان الله ليس بغافـل

والمكانة الرفيعة التي تمتعت بها قريش ، باعتبارها حامية البيت الحرام ، وسادنته ، جعلتها أيضاً تتمتع بمكانة عالية في الأدب والنقد . فقد كانت القبائل تعرض على قريش اشعارها ، فما قبلته كان مقبولاً وما ردته كان مردوداً . . وقد روي ان علقمة بن عبدة التميمي انشدهم قصيدته : هل ما علمت وما استودعت مكتوم ؟ فقالوا : هذه سمط الدهر ! ثم عاد اليهم من العام المقبل ، فأنشدهم قصيدته : « طحابك قلب في الحسان طروب » فقالوا : هاتان سمطا الدهر . .

وتدل هذه القصة على ان عملية النقد كان لقريش فيهـا دور مرموق .. ويدل السياق على ان علقمة بن عبدة التميمي انما كان يأتي حاجاً . .

هذه اشارات سريعة عابرة ، عن علاقة الحج بالعهد الجاهلي . .

بعد ظهور الاسلام .. وبعد ان أصبح الحج ركناً مفروضاً من أركان الاسلام . . فقد تطورت علاقة الأدب بالحج ، واتسعت اتساعاً كبيراً . . وتنوعت تنوعاً كثيراً . . برزت هذه العلاقة في الشعر والخطابة ، والتأليف ، ثم أدب الرحلات ، والملاحم ، والأراجيز . . والمقالات ، ثم الأدب الاذاعي والتلفزيوني في العصر الحديث . .

لقد اختفت الأسواق الأدبية حقاً . . ولكنها كانت قد أدت مهمتها كاملة . .

وبدأ الشعر في العهد النبوي ، مؤيداً دعوة الرسول العظيم مشيداً بها . . وجاء ذكر الحج على السنة شعراء الدعوة ، في مجال الاكبار والتقديس . .

فلما كان العهد النبوي ، وشاع الترف في بعض الأسر بالحجاز ، لهج الشعراء الغزليون في مكة والمدينة بذكر الحج ، لانه كان بالنسبة اليهم معرضاً للحسناوات من الحجاج . . فوجدنا عمر ابن ابي ربيعه ، يصف الحج ، وازدحام الحجيج ، ويوم عرفة ، والافاضة الى مزدلفة ، ورمي الجمرات في منى ، والطواف واستلام الحجر الأسود . . وكذلك فعل العرجي . . حتى لتمنى ابن ابي ربيعه ان يكون الحج ، كل يومين :

ايهـا الراكب المجـد ابتكارا
قـد قضى مـن تهامة الأوطارا
مـن يكـن قلبه صحيحاً سليما
ففؤادي بالخيف امسى معـارا
ليت ذا الدهر كان حتماً علينا
كل يومـين .. حجة واعتمارا

وقد أصبح الغزل بالحسناوات من الحجاج ، مطمحاً لبعض الحسناوات أنفسهن . . من اولئك اللاتي قال فيهن العرجي :

مـن اللاء لم يحججن يبغين حجة
ولكـن ليقتلـن البرىء المغفلا

على ان هذا اللون من الغزل . . ذي العلاقة بمواطن الحج وبمناسبته ، لم يكن مقصوراً على هذين الشاعرين.. وان كانا قد توليا كبره .. فقد انتشر بين شعراء غزليين آخرين . . فهذا المجنون ، يقول في تصوير حدث من احداث الحج ، يعرفه الحجاج ، فكثيراً ما يتوه بعض الحجاج من رجال ونساء واطفال ، عن رحالهم في منى او في عرفات ، فتنطلق النداءات عالية تجلجل بحثاً عن اولئك التائهين والتائهات :

وداع .. دعا .. اذ نحن بالخيف من منى
فهيج احزان الفؤاد وما يدري
دعا باسم ليلى .. غيرها .. فكأنما
أطار بليلى طائراً كان في صدري
ينادي بليلى .. اسخن الله عينه
وليلى بأرض الشام في بلد قفر .. !

على ان هذا اللون من الغزل ، قد امتد عبر القرون ، وكان الشريف الرضي احد اللاهجين بمناطق الحج ومشاعره ، والتحركات التي تصحب الحج .. وشهرته في هذا المجال مستفيضة .. اعانه على ذلك ، انه كان كثيراً ما يتولى امارة الحج ، وكان شعره عن الحج يمتاز بالرقة والسلاسة ، وبالصور المبدعة .. ممزوجاً بالغزل ، وان كان يغلب عليه الورع .. الأمر الذي قد يصرف غزله على غير ظاهره ..

ومما يتصل بالشعر ، في العهود الاسلامية ، شعر الابتهال والتلبية ، كتلبية ابي نواس التي يقول فيها :

لبيك ان الحمد لك
والملك ، لا شريك لك
كل نبي وملك ..
وكل من أهل لك
وكل عبد سألك
سبح ، أو لبى فلك
لبيك ان الحمد لك
والملك ، لا شريك لك ..

وهناك شعر الزهد ، والترغيب في الحج ، والدعوة اليه ، وشعر التوبة والاستغفار ، وشعر الوعظ .. ويأتي في هذا الباب ، الأراجيز التي نظمت في الحج او في احكامه .. او في الرحلة اليه .. او في وصف طريقه او مشاعره .. الخ ..

وكثير من الوان هذا الشعر ، ظل حياً عبر القرون يتداوله الشعراء جيلاً بعد جيل .. وان نجم في العصور الجديدة ، شعر الملاحم .. كما نرى في ملحمة الشاعر المبدع ، عمر ابي ريشه ، او شعر المسرحيات التي تتناول الحج . او تتصل به على نحو ما ..

وهناك ايضاً المدائح التي تتصل بالحج ، ويأتي فيها ذكر مشاعره ومواقفه ، او وصف الرحلة اليه .. وقد اتسع نطاق هذا الشعر ، منذ عهد الملك عبد العزيز آل سعود ، رحمه الله ، في مناسبتين تتاح في موسم كل عام ، في الحفلة التي يقيمها جلالته للحجاج في اليوم السابع من ذي الحجة ، وفي يوم الاستقبال في اليوم العاشر منه (يوم عيد الأضحى) ، حيث يتبارى الشعراء في هذا اليوم في القاء قصائدهم .. وقد ظل هذا التقليد قائماً بعد وفاة الملك عبد العزيز تغمده الله بفيض رحمته .. ولا يزال الملك فيصل أمد الله في عمره ، يحافظ عليه .. وقد سمعنا فيه قصائد مبدعة لشعراء فطاحل من امثال : احمد ابراهيم الغزاوي ، وفؤاد شاكر (رحمه الله) وعمر ابو ريشه ، وحسين بستانه ، والهادي خفاجي ، والمفدى زكريا .. وغير هؤلاء كثيرون . وتعتبر المناسبة الأخيرة موسماً ادبياً منقطع النظير .. اذ يلتقي فيه شعراء كبار من شتى انحاء العالم الاسلامي .. فهو سوق عكاظ من نوع خاص .

ويبدو ان الشعر ، قد استأثر حتى الآن بجل حديثي ، مع ان للنثر نصيبه الكبير في علاقته بالحج .. وان كان الشعر أكثر سيرورة ، وامره في الناس أكثر شيوعاً وذيوعاً ..

في عالم النثر المحت الى ادب الوثائق التي كانت تعلق بالكعبة المشرفة .. ثم تأتي الخطب سواء تلك التي كانت ترتجل في مواسم الحج ، او كانت تعد اعداداً ..

وفي عهد التدوين ، وعهد الحلقات الدراسية . كان الحرمان الشريفان ، جامعتين كبيرتين واسعتي الشهرة ، تقصدان من كل مكان .. يأتي طالب العلم ، عالماً كان او متعلماً ، فيكون له في الحرمين حركة أخذ او عطاء .. او هما معاً .. ولا يقتصر الأمر على علوم الفقه او الحديث او علوم الشريعة .. بل تأتي علوم العربية .. ويأتي فيها الشعر وتراجم الشعراء ويأتي معها النقد ، والمقارنة ، ومن العلماء من كان يؤثر ان يضع مؤلفاته الى جوار احد الحرمين .. كما فعل الفيروزأبادي عندما ألف قاموسه المحيط في الصفا الى جوار الكعبة .. كما صرح بذلك في ختامه : « وقد يسر الله تعالى اتمامه بمنزلي على الصفا بمكة المشرفة تجاه الكعبة المعظمة .. » وقد كان منزله الذي يشير اليه ملكاً خاصاً به ، كما صرح بذلك أيضاً في مادة (صفو) حيث قال : « .. والصفا من مشاعر مكة بلحف ابي قبيس وابتنيت على متنه داراً فيحاء » ..

وكان الحج ولا يزال موسماً لتلاقي العلماء ونقاشهم وحوارهم ، واخذ بعضهم من بعض .. وذلك احد المنافع التي يمتن بها علينا القرآن العظيم ..

وأدب الرحلات الى الحج ، فن قائم بذاته عرفه القدامى ، وشاع في العصور المتأخرة .. والرحلتان المشهورتان في الادب العربي ، وهما رحلة ابن بطوطة ، ورحلة ابن جبير ، انما كانتا من ثمار الحج .. فقد خرج ابن بطوطه حاجا فلم يعد الى بلده الا بعد ثمان وعشرين سنة .. وكذلك خرج ابن جبير حاجاً .. وفي رحلة ابن جبير عناية خاصة بوصف مكة ومشاعرها ، وجدة وخليج أبحر .. ومن اشهر رحلات المحدثين كتاب « مرآة الحرمين » وكتاب « رحلة الحجاز » الأولى لرفعت باشا والثانية للبتنوني .

وفي الأدب الجغرافي ، الخاص بالحج ، او الذي بدأ بالحج ، الكثير من الروائع ، كما ان له الكبير من الأهمية .

ومن عطايا الحج للادب في هذا الباب كتاب « في منزل الوحي » للدكتور محمد حسين هيكل رحمه الله ، و « الانسامات اللطاف » للأمير شكيب ارسلان رحمه الله ..

ومن أجل آثار الحج ، عناية فريق كبير من المؤلفين في التأليف عن الحج ، وعن المدن المقدسة ومعالمها وأوصافها او عن بعض المشاعر او اعلام الحرمين مثل كتاب « شفاء الغرام » و « العقد الثمين » وكلاهما للفاسي ، او « تاريخ الكعبة » او « تاريخ المسجد الحرام » للشيخ عبدالله باسلامة ، رحمه الله ، او « تاريخ مكة » للاستاذ احمد السباعي ، او تاريخ « مقام ابراهيم » للشيخ محمد طاهر كردي ..

وقد يوحي الحج بألوان طريفة من التأليف كما فعل المقريزي (ت ٨٤٥هـ) في كتابه « الذهب المسبوك في ذكر من حج من الملوك » ..

وفي العصر الحديث أصبح للصحف والمجلات مساهمات واسعة في أدب الحج ، لعنايتها باخباره ، او لاصدارها الأعداد الخاصة عنه ..

وفي هذا العداد ، نسلك الأدب الاذاعي والتلفزيوني الذي يعني بانباء الحج ، ويضع من أجل ذلك القصص والمسرحيات ويقدم الواناً من النثر والشعر .

والقصة وان كانت في العالم العربي ، لا تزال لوناً جديداً ، لم يبلغ اوجه الذي وصل اليه الغرب ، الا انها مع ذلك ساهمت في ادب الحج خاصة في تلك الألوان التي تقدم عن طريق الاذاعة او التلفزة .. وقد يستهوي الحج بحركته وتموجه ، وسرعة تنقلاته مؤلفي القصة .. ليتخذوا من أجوائه ، مسرحاً لخيالهم .. ■

عبد العزيز الرفاعي – الرياض

الله أكبر إنه يوم الفدا

للشاعر: محمد هارون الحلو

الله شرفني بها ام القرى   وبها غدوتُ مهللا ، ومكبرا
ونزلت جنات المنى برحابها   ونسمت روح الخلد منها عنبرا
البيت بيت الله ، والحرم الذي   اغشى به ذاك الجناب الأطهرا
ذكرى تشاغل مهجتي ، وتهزني   هزاً عنيفاً ، كي أغذ بها السرى
ماذا هناك ؟ لقد رويت من السنا   والصبح فيه عن الحقيقة أسفرا
دين على التوحيد قام ، وطالما   قد هدّ اركان الضلال ، ودمرا
والله جل جلاله الملك العزيز ،   وصاحب النعم التي لا تمترى
عنت الوجوه له ، تبارك وجهه   فيما به بدع الوجود ، وقدرا
لم أنس يوم غدوت بالصرح الأشم ، وكان منشور الجناح محبرا
عطفاه في ثوب الكرامة أشرقا   وطوى من الأمجاد آفاق الذرا
ويضمه الألق السِنيّ ، ونفحة   قدسية ، تنهل مسكاً أذفرا
والبشريات به تهلل كالرّؤى   عبر الخيال ، وهن أبهج منظرا
وترى الحجيج تدافعوا من حوله   متحلقين ، وما أجل ، وأكبرا
كل على شغفٍ يقبله ، ويلثم منه ثغراً باسماً قد نورا
وكأن اقطارَ المجرة خيمة   عُقِدَ اللواءُ بها عليه ، مشهرا
من جوهر الفردوس ميز وإنه لأعز منزلة واصفى جوهرا
الله أكبر ، كم أذان للهدى   والحق ، دوى منذراً ، ومبشرا
وترى المقام ، مقام ابراهيم قد   أضحى مصلى للحجيج ومشعرا
ومن الصفا ، والمروة انحدر المهرول منهما مستقبلا ، مستدبرا
وحمائم البُشرى ترف مواكباً   آناً وآونة يمسن تبخترا
ويهز لبك خاشع متبتل   رفع اليدين لربه مستغفرا
واذا أصخت السمع اشجاك الحنين ، وكم فؤاد بالحنين تفجرا
شرقت من الدمع الجفون وطالما   فاضت دموع الشوق منها انهرا
الله اكبر انه يوم الفدا   طوبى لمن لبى به او كبرا
هي ملة الدين الحنيف ، وشرعة   الاسلام ، ديناً قيما لا يفترى
عجباً لبيت قام ، ميزان الزمان   ولم يزل يطوي المدائن ، والقرى
تغشى العيون به منارات العلا   وكأنه للمجد سِفرٌ سطرا
كم مال خير الخلق منه معانقا   ومضى على النجوى يشد المئزرا
حجر الأساس من البناء أقامه   بالأمس ، وهو أعز من وطيء الثرى
لاذت قريش به صبياً ، يافعاً   ليصون وحدتهم ، وقد فصموا العرى
شرع الأسنة ، والقنا ، شيطانهم فيهم ، ليضرم نارهم ، ويسعّرا
فأهلّ بالرّأي الحكيم محمدٌ   واستل ما دخل الصدور وأوغرا
وقضى بحكم الله في الأمر الذي   ما كان قط لغيره أن يظهرا
ومحمدٌ تاج الهدى ومنارة الاسلام ، وهو أبرُّ داع شمرا
من لي بيثرب وهي حصن المصطفى وقد اغتدى فيها بشيراً ، منذرا
أطوي الزمان على تقادمه ، وهل احصي الحوادث ان مشيت القهقرى ؟
من لي ، وللمختار موكب عزة   فيها ، وكم حشد الحشود وعسكرا
ورمى بسهم الحق كل معاند   ليوطد الأركان ليثاً قسورا
أرسى العماد ، وحطم الأصنام وانجاب الظلام عن العقول ، وحررا
من لي بروضته الشريفة اجتلي   فردوسها الأسنى ، وأغشى المنبرا
ألقي السلام عليه ، والنجوى به   حلم سعيد لا يباع ، ويشترى

محمد هارون الحلو — القاهرة


الزيتونة ... الشجرة المباركة

قال سبحانه وتعالى « الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم . »

صدق الله العظيم

قال صلى الله عليه وسلم : « كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة . »

لعبت شجرة الزيتون دوراً رئيسياً في حياة شعوب حوض البحر الأبيض المتوسط منذ ازمنة موغلة في القدم. فهي من الأشجار النادرة التي عايشت الانسان في هذه البقعة واستأثرت باهتمامه لمنافعها الجمة ، ولذا فقد تعهدها منذ عرفها بعناية فائقة قلما حظيت بها شجرة اخرى .

شجرة قديمة قدم الإنسان

لا يعرف على وجه التحديد متى عرف الانسان شجرة الزيتون ، ولكن أكثر المصادر التاريخية تشير الى ان سوريا هي الموطن الأصلي لشجرة الزيتون البرية وكذا في سواحل آسيا الصغرى . وقد زرعت في جزيرة « كريت » منذ حوالي ٣٥٠٠ سنة قبل الميلاد . وربما قد لعب الحظ مع أحد اهالي هذه الجزيرة عندما عرف كيف يحول شجرة الزيتون البرية ذات الثمر الصغير الى شجرة مثمرة بطريقة التطعيم . ومن ثم انتشرت زراعتها في الجزيرة انتشاراً واسعاً أصبحت معه جزيرة كريت المصدرة الأولى لزيت الزيتون الثمين في العالم المتحضر القديم . ومن كريت انتقلت شجرة الزيتون الى بلاد اليونان ، وقيل ان اول شجرة غرست في « الاكروبوليس » في اثينا عمرت نحو الفي سنة . وراح الأغارقة يزرعونها في بداية الأمر في مقاطعة « اتيكا » ذات التلال الجيرية ، ثم اخذت زراعتها تمتد الى مناطق اخرى في شبه جزيرة اليونان ، حتى ان الحكيم « صولون — Solon » وجد انه من الضروري اصدار قوانين لتنظيم زراعتها في البلاد ، وبذلك اضحى زيت الزيتون سلعة تجارية رائجة شقت طريقها الى الأسواق الرئيسية في تلك العصور السحيقة . ويذكر « هوميروس » في الياذته ان زيت الزيتون كان يعد من المواد الكمالية النادرة التي احتلت مكاناً بارزاً بين الدهونات والعطور في قصور الأمراء والأثرياء . ونالت شجرة الزيتون



لتحسين اصناف الزيتون يجري تطعيم الأشجار البرية على هذا النحو .

حظوة كبرى لدى الأغارقة بلغت حد التقديس . ففي الألعاب الأولمبية كان الفائزون يزينون رؤوسهم بأكاليل تصنع من ورق الزيتون . ولم تلبث ان شقت هذه الشجرة طريقها الى ايطاليا اللاتينية ، فاتخذ الرومان من ثمرها غذاء مفيداً، أما الأباطرة والأثرياء فقد اتخذوا من زيتها مرهماً يدلكون به اجسامهم ومن ثمرها المحفوظ نوعاً من المقبلات على المائدة . ولعل من المفيد ان نذكر ان الرومان تعلموا في فترة مبكرة من تاريخهم كيف يحفظون ثمار الزيتون التي لم تنضج بعد بغمرها بالماء الملح ، دليل ذلك ما وجد من الزيتون المكبوس في انقاض مدينة « بومبي » التي دمرتها الزلازل .

ويعود الفضل الى الفينيقيين في نقل الشجرة المباركة الى كثير من مستعمراتهم في الشمال الأفريقي ، في تونس والجزائر والمغرب ، ومنها انتقلت الزيتونة الى اسبانيا التي أصبحت تحتل المركز الأول بين دول العالم في انتاج الزيت ،اذ يقدرما تنتجه بنحو ٣٨ بالمئة من انتاج العالم، يليها في ذلك ايطاليا واليونان والبرتغال وتونس وتركيا.

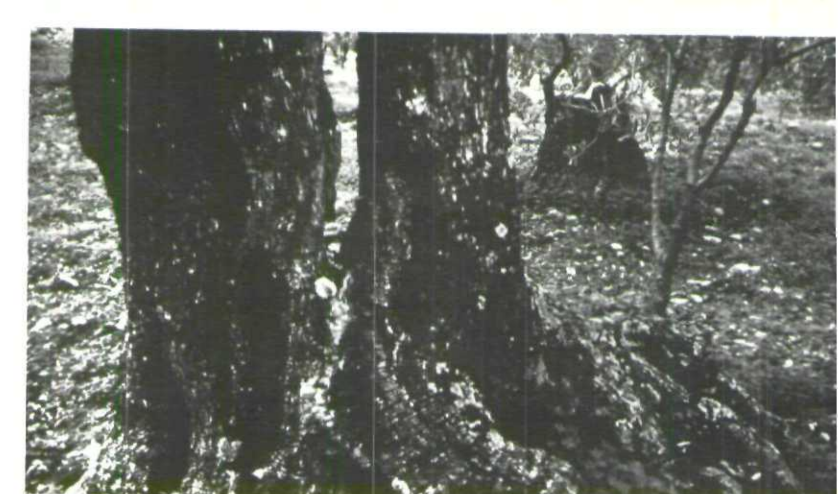
ولم تقتصر زراعة شجرة الزيتون على بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط فحسب ، بل امتدت زراعتها الى مناطق اخرى من العالم شبيهة في مناخها واحوالها الجوية بمناخ حوض البحر المتوسط . فهي تنمو بنجاح في البقاع المعتدلة المناخ الدافئة كبعض المناطق في الصين ، وجنوب افريقيا ، واستراليا ، وولاية كاليفورنيا في الولايات المتحدة الأمريكية .

وفي المملكة العربية السعودية تنمو أشجار الزيتون البرية في مناطق معينة وخاصة في المنطقة الجنوبية كزهران وغامد وعسير وبالذات في المناطق الجبلية ، المغطاة بغابات طبيعية كثيفة . واهم اشجار هذه الغابات الزيتون البري المعروف بالعُتْم ، والطلح ، والسدر ، والعرعر ، وتعتبر هذه المنطقة من حيث المناخ وكمية الأمطار التي تهطل عليها بيئة ملائمة لنمو اشجار الزيتون . وكل ما تحتاجه هذه الأشجار هو تحسين اصنافها عن طريق التطعيم . وتبذل وزارة الزراعة جهوداً كبيرة لتطوير وتحسين انتاج الزيتون بالمملكة ليحتل انتاج هذه الشجرة مكانه الملائم بين اقتصاديات الانتاج الزراعي، فهي تشجع بكل الوسائل زراعة الزيتون في البيئات الملائمة له بتوفير الاشتال من اصناف ممتازة لأقلمتها في مناطق انتاج الزيتون بالمملكة . هذا وتقوم الوحدات الزراعية في مناطق معينة بزراعة الزيتون في حقول ارشادية ، الغرض منها انارة الطريق امام المزارعين في هذا المجال وفقاً لأحدث الأساليب الزراعية .

وللمكانة الرفيعة التي بلغتها شجرة الزيتون فقد خلعت اسمها على « جبل الطور » الذي يشرف على مدينة القدس من الشرق ، اذ يطلق عليه جبل الزيتون ، وهو الجبل الذي انحدر منه المسيح ، عليه السلام ، متجهاً الى القدس ،

١ – ليس لشجرة الزيتون جذر وتدي ، لكن لها مجموع جذري كثير التفرع يجتمع في أرومة واحدة ضخمة .

٢ – أشجار الزيتون المتشابكة الأغصان تنمو بنجاح في كل تربة .

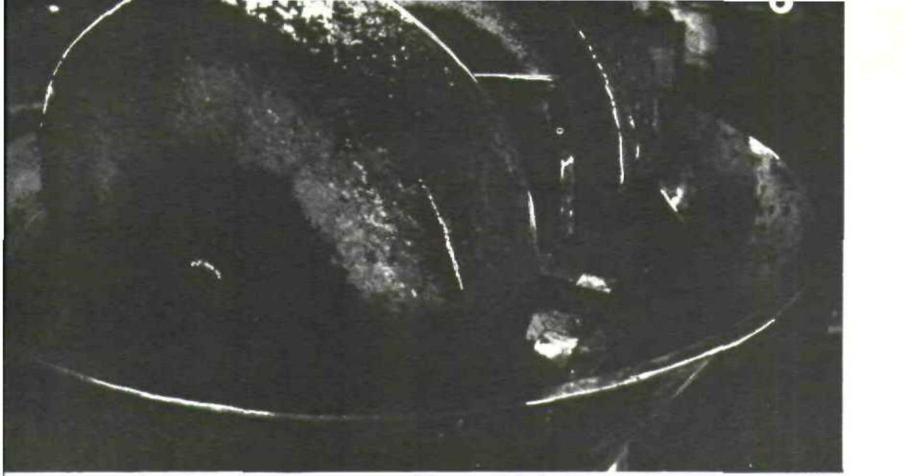






٣ – اشجار الزيتون اخذت تحتل مكاناً بارزاً في المنطقة الزراعية بحائل في المملكة العربية السعودية .

٦ – تلتقط الأيدي ثمار الزيتون حبة حبة بكل عناية وحرص .



٥ – يدور حجر الرحى في حوض واسع فيهرس ثمار الزيتون .

٦ – الفلاحات يجمعن ثمار الزيتون المتساقطة على الأرض ومن بين شقوق سلاسل المدرجات الجبلية بأناة وصبر .

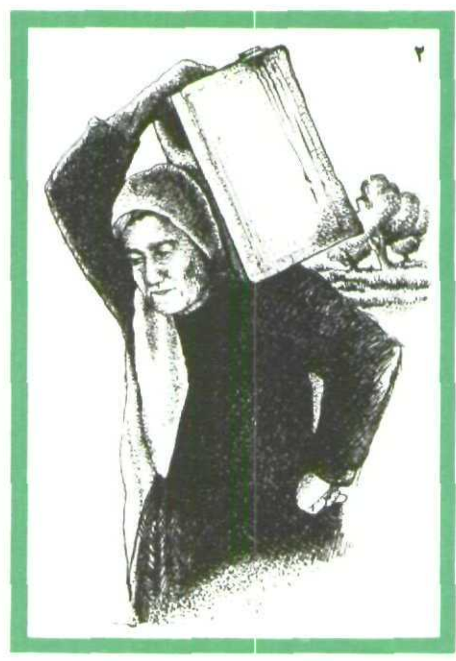
٦

وهناك في « حديقة الجثمانية » ركع المسيح في ظلال شجرة الزيتون يدعو الله ، والألم يغمره من كل جانب في اليوم الذي حم به قضاء الله . ويقال ان شجرة الزيتون في هذه الحديقة قد عايشت المسيح وشهدت آلامه .

غصن الزيتون رمز السلام

كثيراً ما نشاهد في الرسوم الكاريكاتورية حمامة تحمل في منقارها غصن زيتون دليلاً على اشاعة السلام والمحبة والوئام . ويردد الكثيرون عبارة « جاء فلان يحمل غصن زيتون » ، وتعني انه جاء يحمل بشائر الخير والسلام . وليست شارة السلام هذه مستحدثة بل تعود الى زمن سحيق . ففي قصة الطوفان بالانجيل ، كان غصن الزيتون هو ما احضرته الحمامة الى سفينة نوح ، عليه السلام ، كدليل على انحسار المياه ، ولذا تعتبر الحمامة التي تحمل غصن الزيتون رمز السلام في كل ارجاء العالم المتحضر اليوم . كما ان اثينا قدست شجرة الزيتون وجعلت من اغصانها شارات للسلام . وللأغارقة في ذلك اسطورة يحدثنا بها الشاعر هوميروس في ملحمته الالياذة . ففي حصار طروادة كانت الربة اثينا الصديق الناصح للاثينيين في حربهم مع طروادة ، فانبرى « مارس » اله الحرب ليساعد الطرواديين ضد الاثنيين فجن جنون « زيوس » رب الأرباب واستشاط غضباً لفعل « مارس » فما كان منه الا ان امر الربة اثينا لتتصدى له ، فخلعت ثيابها وطرحت زينتها ولبست الدرع وحملت الترس وركبت الى « مارس » فرمته بحربة في صدره صرخ منها







صرخة اهتزت لها اركان الأرض ، فقد كانت الربة اثينا تكره الحرب وتحب السلام . ولما خمد اوار الحرب قرر « زيوس » ان يخلع على مدينته اسم من يأتي بأنفع شيء فاتي «بوزيدون» اله البحر بالحصان واتت الربة « اثينا » بشجرة الزيتون ، وحكم « زيوس » على ان شجرة الزيتون انفع من الحصان فسميت المدينة باسمها « اثينا » ، ومنذ ذلك الحين أصبحت شجرة الزيتون كصاحبتها رمزاً للسلام وحقن الدماء .

ومهما يكن من شيء فان الله بارك هذه الشجرة ، وضرب لنوره العظيم مثلا بالنور المتلألىء المنبعث من مصباح وقوده زيت مبارك يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار ، مستقطر من شجرة مباركة زيتونة ، لا شرقية ولا غربية ، أي انها أكرم شجرة واحسنها واتمها ، اذا كانت تنبت في أنسب مكان لها واعدله .

زرعوا فأكلنا ونزرع فيأكلون

تنتمي شجرة الزيتون البرية الى فصيلة « اوليا ايروبيا — Olea Europaea » وهي من الأشجار الدائمة الخضرة التي تنمو على سفوح الجبال وفي التربة الصخرية الجافة وفي السهول . وتمتاز عن غيرها من الأشجار بأنها تستطيع النمو حتى في الأراضي الفقيرة الوعرة ذلك لأن جذورها سطحية ، وانها تحتمل الاهمال لفترة طويلة دون ان تتأثر ، وتجود بثمرها ومحصولها اذا لقيت الاعتناء اللازم بها .

وشجرة الزيتون البرية صغيرة الحجم نسبياً ذات اغصان متشابكة يحمل الغصن منها صفين متقابلين من اوراق مستطيلة نحيلة مستدقة



الأطراف . ويميل ظاهر الورقة الى اللون الأخضر الداكن ، أما باطنها ففضي اللون لامع ، تكسو سطحه شعيرات ناعمة بيضاء تساعد الورقة على الاحتفاظ بالماء في موسم الجفاف . وفي فصل الربيع وخاصة في شهر مارس ترتدي شجرة الزيتون حلة زاهية من ازهار بيضاء صغيرة عطرة الرائحة ، تظهر في مجموعات من آباط الأوراق . ومن كل مجموعة من الأزهار تخرج ثمرة واحدة يختلف شكلها تبعاً لفصيلة الشجـرة ، فهي كروية على شجـرة ، مستطيلة على اخرى ، واحياناً تتخذ شكل الهلال ، وثمرة الزيتون خضراء في بادىء الأمر ، ثم تأخذ تدريجياً في التحول الى اللون الأسود او اللون الارجواني الداكن عند النضوج . وجدير بالذكر ان الشجرة البرية تتحول الى شجرة مستزرعة مثمرة بطريقة « التطعيم — Grafting » او احدى الطرق الأخرى المعروفة . وتتميز الشجرة المستزرعة عن الشجرة البرية بوضوح تام من حيث اوراقها وثمارها وحجمها . والمعروف عن شجرة الزيتون

١ – بعد الهرس يتدفق الزيت الذهبي في أحواض خاصة .

٢ – هذه العجوز تحمل على عاتقها زيتاً ذهبياً هو ثمرة جهد كبير وصبر طويل .

٣ – الصفائح الصغيرة تعبأ من صفائح الزيت الكبيرة بعد ترويق الزيت في حوض كبير .

٤ – هنا تجمع الثمار في المعصرة قبل أن تأخذ طريقها الى حجر الرحى الضخم .

٥ – بعد جني ثمار الزيتون تنظف المدرجات من الأغصان المكسرة والحصى والأوراق المتساقطة .

انها بطيئة النمو لدرجة انها لا تثمر بكميات وفيرة قبل خمسة عشر عاماً . ولذا تحتاج الى صبر طويل وعناية فائقة قبل ان تتحف زارعها بثمرها الغض اللذيذ . ويروى في هذا الصدد ان كسرى مر على شيخ طاعن في السن يزرع زيتوناً فسأله : « اتؤمل ان تأكل من ثمر هذا الزيتون وانت شيخ ؟ فأجابه الشيخ : « زرعوا فأكلنا ونزرع فيأكلون . »

وعندما يكتمل نمو الشجرة تزداد ارومتها ضخامة حتى ليبلغ محيط بعضها نحو عشرة امتار ، وتزداد الشجرة سموقاً وانتشاراً اذ يتجاوز ارتفاعها اثني عشر متراً . ولا يحد من تضخم شجرة الزيتون سوى التقليم والتشذيب السنوي الذي تخضع له بعد جني ثمارها .

موسم أعراس الزيتون

يتميز موسم قطاف ثمر الزيتون الذي يمتد من اواسط اكتوبر الى اواخر فبراير وخاصة في لبنان وسوريا وفلسطين ، بمظاهر البهجة والسرور اذ يخرج الرجال والنساء والأطفال في مواكب حافلة هازجة يحملون سلالهم الجميلة وعصيهم السمهرية وامشاطهم المعقوفة الأسنان وادوات الطبخ ومواده وأباريق الشاي وبكارج القهوة العربية ، قاصدين ثمارها التي ابدع في وصفها ابن وكيع حين قال :

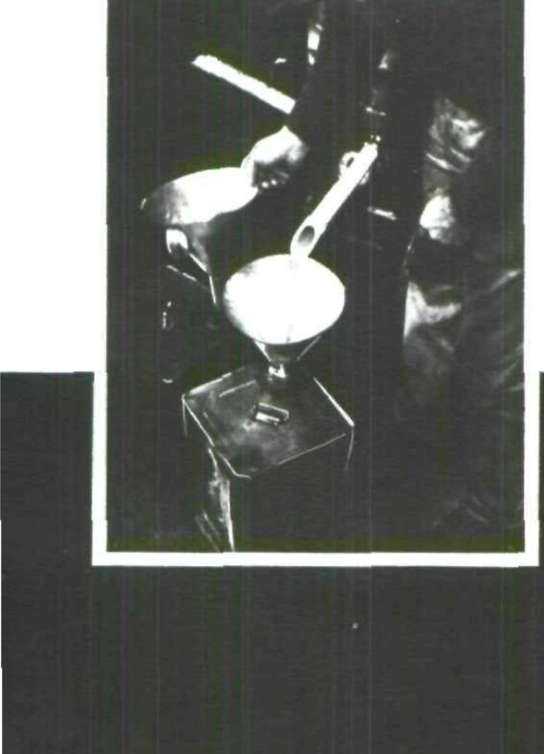
انظر الى زيتوننا فيه شفاء المهج
بدا لنا كأعين شهل وذات دعج
مخضرة زبرجد مسودة من سبج(1)

وتشتد في موسم قطف الزيتون حركة البيع والشراء ، فيخرج الباعة الجوالون على حميرهم وبغالهم الى جبال الزيتون ، وما ان يلمحهم الأطفال حتى يهرعوا اليهم بثمار الزيتون يستبدلونها بما طاب لهم من الزبيب والتين المجفف والحلوى .

وتتم عملية قطف الزيتون باليد او باستخدام عصي طويلة سمهرية القوام ، يجدّون بها الأغصان فتتساقط الثمار كقطرات المطر على ملاءة نظيفة تبسط تحت الشجرة ، واحياناً يعمدون الى هز الشجرة فتتساقط الثمار الناضجة بسهولة او يستخدمون الأمشاط حيث تمرر الأفرع خلالها فتنفصل الثمار وتسقط على الأرض . وتتراوح كمية الثمار التي تنتجها الشجرة الواحدة في السنة ما بين عشرة كيلوغرامات وخمسين كيلوغراماً . وفي حالات خاصة تعطي الشجرة مقداراً من الزيتون قد يصل الى نحو ١٥٠ كيلوغراماً .

تتميز شجرة الزيتون عن غيرها من الأشجار بظاهرة المعاومة في حمل الثمار ، فهي تعطي محصولاً وفيراً في عام ومحصولاً قليلاً في العام الذي يليه ويمكن التخفيف من حدة الظاهرة بالعناية بالشجرة . ويجمع الزيتون المخصص للحفظ وهو أخضر قبل ان ينضج ، أما الثمار التي سيستخرج منها الزيت فتترك لتنضج على الشجرة . وعندما يتم جمع الثمار توضع في سلال كبيرة او أكياس من الخيش تمهيداً لشحنها الى معاصر زيت الزيتون ، وهناك تهرس الثمار تحت حجر ضخم يدور في حوض كبير ، ثم تعبأ في زنابيل خاصة توضع تحت مكبس كبير فيضغط عليها لينسكب الزيت الذهبي عبر قنوات صغيرة في صفائح التنك ، او جرار الفخار ، او قرب من الجلد .

وتستقطر الأنواع الممتازة من الزيت ، الذي يسمى الزيت البكر ، من ثمار كاملة النضج منتقاة بطريقة خاصة ، حيث يستخرج

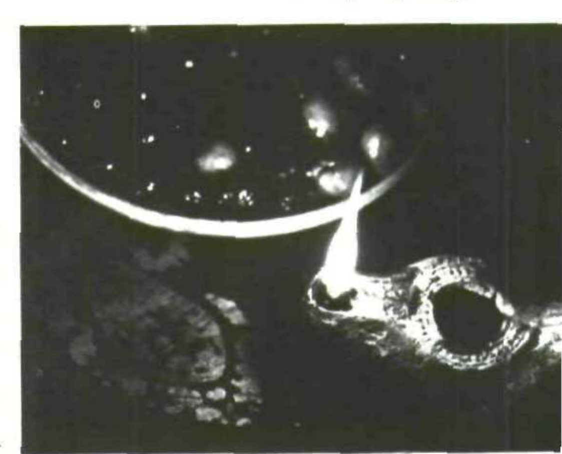


يعبأ الزيت الصافي في صفائح التنك .

ثمار الزيتون التي باركها الله تحمل في سلال لتنقل الى المعاصر

الزيت منها بطريقة العصر باليد البدائية القديمة التي لا تزال تستخدم في كثير من القرى والأرياف حتى يومنا هذا اذ تهرس الثمار بحجر الرحى فيتحلب منها الزيت البكر الذي يمتاز بطعمه اللاذع واجود انواع الزيت المكرر ما بلغ الحد الأقصى للحموضة فيه نحو ١,٢ بالمئة ، وكلما ارتفعت نسبة الحموضة في الزيت قلت جودته .

بعد ان يستخرج الزيت البكر في المعاصر الحديثة خلال عملية الكبس الأولى تعالج فضلات الثمار المكونة من القشور والنوى الصلب المكسر بالماء الحار والمذيبات الكيمائية لأنتاج مزيد من الزيت الأقل جودة . ويبلغ مقدار ما ينتجه الزيتون من الزيت نحو ربع وزنه او اكثر قليلاً .



زيت الزيتون كوقود للمصابيح منذ فجر التاريخ .

الزيتون كلّه منافع

قليلة هي الأشجار التي يستفيد منها الانسان جملة وتفصيلاً، ومن هذه الأشجار ، الزيتون والنخيل والنارجيل . والزيت المستخلص منه ذو قيمة غذائية عظيمة ، وهو سهل الهضم حيث يستخدم في الطهو وخاصة في البلدان التي تنتج زيت الزيتون الطبيعي ، فهو يحل محل الدهون الحيوانية والنباتية التي تستخدمها البلدان الأخرى في الطهو وعدا ذلك فان الزيت يستخدم في حفظ كثير من الأغذية وخصوصاً الأسماك . وفي العصور الخوالي حتى قبيل اكتشاف الكهرباء والبترول كان زيت الزيتون يستعمل في المصابيح للاضاءة كما كان يستعمل الأقل جودة منه في صناعة النسيج وفي تمشيط الصوف ، وقد استخدمت ولا تزال كميات كبيرة منه في صناعة الصابون . ناهيك عن استعمال الزيت لعلاج حالات مرضية كثيرة ، فالحامل تدلك به بطنها ، كما يدلك به جسم الطفل الرضيع . وقد أشادت كتب الطب العربية القديمة بالزيتون ومنافعه . فالنويري صاحب كتاب « نهاية الارب » يورد شيئاً من ذلك فيقول : « ورق البري جيد للداحس[٢]، ويمنع العرق مسحاً ، وصمغ البرى ينفع من الجرب المتقرح ، وينفع الغشاوة والبياض ، ويجلو العين ووسخ قروحها ويخرج الجنين . وماء الزيتون المملح يحقن به لعرق النسا ، وورقه يطبخ بماء الحصرم حتى يصير كالعسل وتطلى به الأسنان المتأكلة فينفعها ، وعصارة ورقه للجحوظ . والزيتون الأسود مع نواة من جملة البخورات للربو وامراض الرئة . والزيتون الغليظ المملوح يثير الشهوة ويقوي المعدة ، والمخلل أقبل الجميع للهضم واسرعه » .

اما الفضلات المتبقية بعد استخلاص الزيت من الثمار فتتخذ غذاء للماشية ، كما يعمد البعض الى تجفيفها لتستعمل كوقود للأفران او تدفئة البيوت في أيام البرد القارس وتمتاز بشدة حرارتها وسرعة اشتعالها .

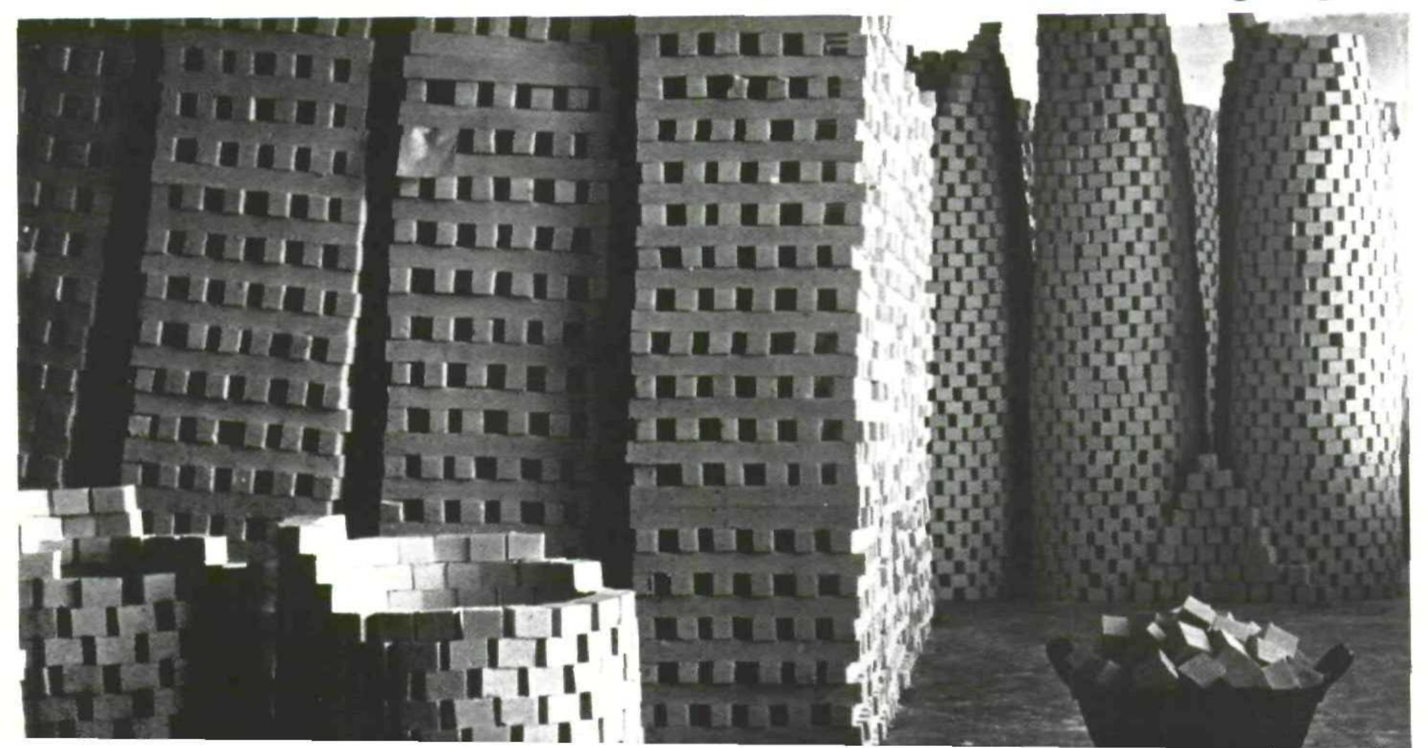
أما خشب الزيتون ذو الرائحة الزكية النفاذة فهو متين متماسك وألوانه متماوجة يمتزج فيها الأصفر والأخضر والبني في انسجام رائع ، ولذا كان من الأخشاب الثمينة المفضلة القابلة للتشكيل الفني الجميل ، حيث تصنع منه التحف الثمينة والأواني الخشبية البديعة وما شاكلها .

تلك هي الشجرة التي باركها الله والتي امدت الانسان بخيرها عبر الدهور والأجيال المتعاقبة ■

سليمان نصرالله - هيئة التحرير

(١) الخرز الاسود اللامع
(٢) ورم حار يحدث في أطراف الأصابع

هذه نماذج من قطع الصابون المصنوعة من زيت الزيتون صفت بطريقة فنية رائعة .





للدكتور : محمد أحمد الغمراوي

عرض وتلخيص : الأستاذ عبدالرحمن بدوي

لقد عاش الاستاذ الدكتور محمد أحمد الغمراوي حياته في جد العلماء ، وهدوء الحكماء ، وأدب المعلمين وجلد المجاهدين وقد اسعفه اتصاله بالقرآن الكريم وشغفه به بكل هذه المزايا التي تمتع بها مؤلف هذا الكتاب . . فلم يحل تعلمه وتعليمه بالمدارس المدنية التي قطعت صلتها بالعلم والمعارف الاسلامية او كادت في فترة من فترات الضغوط الأجنبية ، لم يحل ذلك كله دون ان يكون في الطليعة بين الذائدين عن الاسلام وتعاليمه القويمة .

وقد نعى على المسلمين موقفهم الأليم ، ونبه بقوة الى معاودة النظر والرجوع الصادق الى دينهم الحنيف . . ووضع يده على موطن العلة في انصراف بعض المسلمين عن الاسلام (دين الفطرة) وعن الالتزام باحكامه والدعوة اليه فقال : لكن مما يؤسف له ان المسلمين غفلوا عن آية سورة الروم وهي قوله تعالى **« فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم »** .

ثم نراه يلفت نظر المقلدين وفكر الغافلين الى تأمل هذا الفرق فيقول : لقد حاول الغرب كثيراً ان يوفق بين دينه وبين العلم فلم يستطع ، لا لجمود رجال الدين فيه ، ولكن لنصوص في كتابه ناقضت ما اثبته العلم ، واستعصت على التأويل : كالنص على عمر للارض محدود لا يتجاوز بضعة الاف من السنين . في حين ان العلم اليقين يقدر عمرها بالملايين ، وكان من ذلك ان حمل بعض كتابه مثل « ماثيو أرنلد » على ان يظنوا ان الدين قد خذله الواقع فلم يبق ما يستند اليه الا القيم الاخلاقية .

وقرأ ذلك بعض مقلدي الغرب من المسلمين فظنوا ان ما ينطبق على الدين هناك ينطبق على الدين هنا من غير ان يكلفوا انفسهم مؤونة البحث عن الدينين .

ومن العجيب ان الاسلام الذي يرمونه بداء غيره ، فينسبون اليه معاداة العلم احياناً ومنافاة العقل احياناً ، ومجافاة الفطرة احياناً ، هو وحده من بين الأديان السماوية الذي احتضن العلم وتحاكم الى العقل ، وميز الحق بخصائصه وما عليك الا ان تردد النظر في القرآن الكريم وفي السنة المطهرة لترى الدليل تلو الدليل على ان الاسلام هو دين العلم والعقل والحق ، وانه وحده من بين الأديان السماوية الذي عرف الفطرة وسماها باسمها ووصفها بأوصافها وشهد لنفسه انه دين الفطرة ، بل انه الفطرة نفسها التي فطر الله الناس عليها .

ولقد استنبط بفكره الثاقب وعقليته العلمية تفسيرات جديدة تبين تطابق المعاني الواردة في تلك الآيات الكريمة مع احدث الحقائق العلمية ، التي لم تكشف الا في العصر الحديث .

كما بين انه ليس في حقائق العلم الثابتة ما يتنافى مع آيات القرآن الكريم بل انه اثبت ان بعض آياته تنبأت بكثير من الظواهر الكونية التي كانت مجهولة عند نزول القرآن .

وقد عارض الدكتور الغمراوي بعض المفسرين القدامى فيما ذكروه ، واستنبط بثاقب عقله وواسع اطلاعه وتمكنه العلمي والديني تفسيرات جديدة تتمشى مع المكتشفات العلمية الحديثة ، وقد حفلت المجلات الاسلامية وبخاصة « مجلة الأزهر » بمقالاته الممتعة في هذا الصدد ، ومنهاج الدكتور الغمراوي الذي انفرد به عن كل الكاتبين في العلم وصلته بالدين ، هو انه رحمه الله — يحكم القرآن في العلم . لأن القرآن ثبتت عصمته من الخطأ . اما النظريات العلمية فقابلة للخطأ والصواب .

وقد حوى المؤلف اربعة كتب في جزء واحد :

الكتاب الأول : الاسلام دين الفطرة ، وفيه يستعرض التطابق التام بين الاسلام والفطرة والتحدث عن الاسلام بوصفه دين العزة ودين الكرامة ودين الوفاء وعن صلته بالمدنية ، وسنن العلم وسنن الاجتماع ، وبيان ان الطريقة العلمية هي نفسها طريقة القرآن الكريم ، ولا سيما من حيث اعتمادها على المشاهدة واعمال الفكر واستغلالها حواس الانسان ، **« ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا »** .

ولقد اخذ وصف الاسلام بأنه دين الفطرة

من قوله تعالى في سورة الروم « **فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون** » وذلك الوصف على حسنه مقصر كما ترى عن مدلول الآية وذلك من عدة وجوه : فالفطرة اولاً مضافة في الآية الى الله فاطرها سبحانه ، وفي هذا ما فيه من تشريفها وتوكيد تمامها وكمالها ، وتمام الدين المعبر بها عنه وكماله . ثم هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، والاسلام وان شمل علاقة الانسان بالكون كله وبالفطرة على اطلاقها بدلالة الآيات الكثيرة في القرآن الكريم ، الا انه دين يتعلق اول ما يتعلق بفطرة الانسان نفسه .

والتعبير في الآية الكريمة بلفظ (الناس) على سبيل الجمع بدلاً من لفظ الانسان على المفرد اصرح واوضح في الدلالة على ان الاسلام قد انزله الله طبق فطرة الانسان فرداً او جنساً قبائل وشعوباً ، افراداً وجماعات .

والآية الكريمة تجعل الاسلام ليس فقط دين الفطرة ، ولكن الفطرة نفسها التي فطر الله الناس عليها ، وهذا اوجز تعبير وأوكده وأشمله بتمام انطباق الاسلام على سنن الله التي خلق عليها الانسان ، سواء تعلقت بالبدن او النفس ، بالعقل او القلب ، في الفرد والأسرة والطائفة ، او في القبائل والأمم والشعوب .

ثم تكلم المؤلف بعد ذلك عن الاسلام وكونه دين العزة ، ودين الكرامة ودين الوفاء ، ودين العلم والمدنية وسنن العلم وسنن الاجتماع .

والكتاب الثاني : « محمد رسول الهدى » وفيه يتحدث المؤلف عن عظمة الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وعن معجزاته وأحاديثه ، فعن عظمة الرسول عليه السلام نجد المؤلف يقول : كتب الكاتبون في عظمة الرسول ما كتبوا ، فلم يبلغوا الا بعض قدره ، فمن المحدثين من قارنه ، صلى الله عليه وسلم ، بأبطال التاريخ وخرج من المقارنة بأنه بطل الأبطال ، فأخطأ بالمقارنة وبالحكم سواء السبيل ، لأنه أوهم بهذه المقارنة ، وبهذا الحكم أن الرسول والبطل من قبيل واحد ، وهو بالطبع ليس كذلك ، ولا يمكن أن يكون كذلك ، فشتان بين بطولة البطل ورسالة الرسول ، فرسالة الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، خرجت الأبطال ، وربت عظماء الرجال ، بل لم يعرف التاريخ عظمة في أبطاله تضارع أو تقارب عظمة أصحاب الرسول رضوان الله عليهم أجمعين ، وأين في التاريخ ، الا في تاريخ الاسلام من دانت له الدنيا بالفعل فأعرض عنها وعن زخرفها ، غير معتزل في جبل ، ولا مترهب في صومعة ، بل كان حاكما بين الناس بالعدل ، وسائسا اياهم بالحق والحزم ، من غير أن يرزأهم من دنياهم الا بقدر القوت .

ان بطولة أبطال التاريخ تتضاءل اذا قيست ببطولة أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام، فكيف يمكن أن يحشر الأبطال مع الرسول ، وبينهم وبين أصحابه من البعد ما بين أصحابه وبينه صلوات الله وسلامه عليه .

ومن الناس من التمس في العبقرية وجه الثناء على الرسول وتقديره ولو جعله عبقري العباقرة ما وفاه حقه، بل ما زاد على أن يجعله فردا من نوع متجدد ، وان يكن نوعا نادرا في الناس ، فالذي يثنى بالعبقرية كالذي يثنى بالبطولة ، كل قد غفل عن أن العباقرة والأبطال يوجدون في كل زمان ، ولا كذلك الأنبياء والرسل بل أعظم الرسل وخاتمهم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

وقد استعرض المؤلف عظمة الرسول عليه الصلاة والسلام وأحاديثه ، وانها كانت تبيانا وتفصيلا لما أجمله القرآن الكريم وانها محصت بما لم يمحص بمثله شيء في تاريخ البشرية .. ومن ثم فهي غير قابلة لأي تعديل أو تنقيح .. ثم نراه يفيض في الكلام عن معجزاته .

والكتاب الثالث : « القرآن المعجزة الخالدة » ويستعرض فيه الكاتب ثناء الله سبحانه وتعالى على القرآن الكريم وعظمته وحفظ الله اياه وجعله مهيمنا على غيره من الكتب ثم يفيض فيما حواه القرآن من اعجاز بياني وبلاغي وقف فصحاء العرب حياله مبهوتين عاجزين عن أن يأتوا حتى بمثل أقصر سورة فيه .. قال تعالى « **وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين ، فان لم تفعلوا ولن تفعلوا ، فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين** » .

ثم استعرض دلالات الأسلوب والمعاني وضمائر الجلالة والرسالة في القرآن ، وبصفة خاصة في قصصه ، ودلالة ذلك كله من واقع القرآن نفسه على أنه من عند الله العزيز الحميد .

وهذا الكتاب يشتمل على عدة فصول منها : القرآن كتاب الله ، القرآن معجزة الدهر ، عظمة القرآن من حيث كونه معجزا ، وكونه محفوظا ، ومهيمنا على الكتب قبله ، والاعجاز البياني والبلاغي للقرآن ، وكذلك دلالة الأسلوب والمعنى في قصص القرآن الكريم .

فعن القرآن باعتباره كتاب الله يقول المؤلف: فيما كنا نحفظ من كلام النبي عليه الصلاة والسلام قوله يثني على ربه عز وجل « لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » كلمات كريمة دون العشر ، هي من جوامع الكلم ، التي لا يقولها الا نبي ، انها الغاية في الأدب ، وفي مراعاة ما يليق بجلاله عز وجل .

فشطرها الاول : اقرار بالعجز ، عجز أفصح الخلق عن توفية الله حقه من الثناء. وشطرها الثاني : تقرير للحقيقة الكبرى ان محامده عز وجل لا يقدرها على حقيقتها الا هو سبحانه جل شأنه .

والقرآن الكريم ، كلام الله وكتابه الذي يخاطب به عباده ويتعرف اليهم في آياته ، في لغة اختارها سبحانه ، وأعدها طبق سننه تعالى في تطور اللغات على مر الأحقاب والعصور ، حتى صارت قابلة لتحمل ما أراد سبحانه أن يحملها من معنى لهداية العرب ، ثم لهداية البشرية اليه سبحانه ، والى دينه الذي يطابق الفطرة **(فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم)** .

والكتاب الرابع : « الاعجاز العلمي للقرآن » ويعتبر ذلك فتحا جديدا في هذا الميدان ، ولما كان القرآن مخاطب الانسانية كلها ، أعجميها أكثر من عربيها ، فلا بد لها من اعجاز غير الاعجاز البياني والبلاغي يقنعها ، وهو هذا الاعجاز العلمي الذي فيه من وسائل الاقناع للناس على اختلاف أجناسهم ولغاتهم ما يقره كل ذي عقل مجرد من الهوى والتعصب ودليلا على أن القرآن من عند الله . فالمؤلف نجده يتصدى لتفسير كثير من الآيات الكونية الواردة في القرآن في ضوء ما أثبته العلم الحديث ، فيبين أنها تنبأت بكثير مما لم يعرفه الانسان الا بعد نزول القرآن بعدة قرون ، ومن العجيب أن القرآن يورد هذه الحقائق في أسلوب حكيم خاص به يفهم منه الناس وقت نزوله على قدر عقولهم ، وما يبدو لهم في الكون ثم يتقدم العلوم والوصول الى حقائق جديدة نجد آيات القرآن الحكيم تتفق معها ، وبذا يتجدد ايمان الناس باعجاز القرآن كلما ظهرت لهم حقائق جديدة يرون القرآن قد أشار اليها ، أو عبر عنها .

ومن الموضوعات الشيقة التي تعرض لها توضيح أطوار خلق السموات والأرض المستمد من آيات سورة فصّلت « **قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين ، وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ، ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين ، فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها ، وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم** » ويقول تعالى : « **أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما** » .

وكذلك بيان الاعجاز في آية سورة يس « **والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم** » بعد أن أثبت العلم اليقيني أن للشمس حركة ذاتية واقعية في الفضاء مقدارها نحو ١٢ ميلا في الثانية ، واتجاهها نحو نجم النسر .

بعض القضايا التي اشتهرت بين الناس

وقد ذكر الدكتور الغمراوي في كتابه بعض القضايا التي اشتهرت حديثا بين الناس ودل عليها القرآن الكريم من قبل مثل اختصاص كل انسان ببصمة ، دل عليها القرآن بقوله تعالى « **أيحسب الانسان ألّن نجمع عظامه ، بلى قادرين على أن نسوّي بنانه** » وذلك تقريرا لبعث الأجساد بحيث يحتفظ كل جسد بشخصيته ، فالاعجاز العلمي هو في قوله تعالى « **نسوّي بنانه** » .

ومنها أن المركز العصبي للاحساس هو في الجلد لا في اللحم تحته ، وقد دل عليه قوله تعالى «**كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب** » (سورة النساء) .

ومنها أن البويضة الملقحة تعلق بجدار رحم الأنثى تتغذى من دمها وتتكاثر ، دل عليه قوله تعالى « **إقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الانسان من علق** » .

ومنها مالم يكشف عنه العلم الا حديثا في أواخر القرن الماضي مثل قوله تعالى « **والشمس تجري لمستقر لها** » (سورة يس) .

ومنها ما لم يكشف عنه العلم الا استنباطا في أوائل هذا القرن ، ومشاهدة في عصر الأقمار الاصطناعية والسفن الفضائية مثل قوله تعالى « **وأغطش ليلها** » أي ليل السماء .

ومن القضايا الكلية التي تحوي قضايا جزئية ثبتت حديثا قوله تعالى في سورة يس « **سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون** » ففي قوله « **من أنفسهم** » بيان لنوعية الزوجية ، فالبويضة بعد التلقيح تكسب خواص أخرى مغايرة بالمرة لخواصها قبل التلقيح ، من التكاثر أولا والتنوع ثانيا .

ومن هنا يتبين معنى صدر الآية ، الذي لم يكن معروفا للناس في عصر نزول القرآن الكريم ، اللهم الا في النخل ، ثم يأتي قوله « **ومما لا يعلمون** » ليشمل كل ما يمكن أن يكشف عنه العلم من أزواج ، حيث أنها اذا التقت تغيرت الى ما يغاير خواصها تماما عن ذي قبل .

وقد كشف العلم بعد سنة ١٩٣٧ أو حولها « الكهيرب الالكتروني » الذي يقرر أن الموجب نقيض الكهيرب السالب ، بحيث اذا التقيا تحولت مادتهما الى طاقة صرفة تسير في الكون بسرعة الضوء ، أي بسرعة ثلثمائة الف كيلومتر في الثانية .. وكذلك كشف عن نقيض البروتون « الأبيب » الموجب .. أي عن أبيب سالب ، اذا التقى بعكسه الموجب وهو عبارة عن نواة ذرة الأيدروجين ، تحول الى طاقة صرفة تسير في الكون بسرعة الضوء ، أي فنيت مادة الأيدروجين بتحولها الى طاقة خرجت عن سلطان الانسان ، وانحلت بذلك شبهة قدم المادة التي قامت عليها شبهة قدم العالم عند فلاسفة اليونان .

والفصل الأخير من الكتاب : يبين ببراعة احاطة القرآن باختراعات الانسان مصداقا لقوله تعالى « **ما فرطنا في الكتاب من شيء** » فاستنبط مثلا من قوله تعالى « **وآية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون ، وخلقنا لهم من مثله ما يركبون** » ان المقصود من عبارة « **من مثله** » وسائل نقل مشترك مع الفلك في أهم خاصة لها ، أو صفتها الأساسية وهي كونها « **تسبح** » في الماء حقيقة لا مجازا أثناء انتقالها ، ووسائل الانتقال في الجو ينطبق عليها ذلك الوصف ، لأنها تسبح في الهواء كسبح الفلك في الماء .. الى غير ذلك من الاستنتاجات العلمية الدقيقة من الآيات الكونية الكثيرة الواردة في القرآن الكريم التي وجد فيها اشارات الى الصواريخ والأقمار الصناعية والدبابات والغواصات .

ومن طريف ما ورد في هذا الصدد تبريره لأهمية « **الشفع والوتر** » التي تبرر أن يقسم الله بهما ، مبينا أن خواص العناصر ، ولا سيما من حيث فاعليتهما ، أو عدم فاعليتهما تتوقف على أن يكون عدد الالكترونات الموجودة في ذراتها وتدور حول نوياتها ، زوجيا أو فرديا شفعيا أو وتريا .

« **فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون، وله الحمد في السماوات والارض وعشياً وحين تظهرون** » ■

عبد الرحمن محمد بدوي — القاهرة

الفراغ وأهم وسائل استغلاله (٢)

بقلم: الدكتور حسن علي خفاجي

سأحاول في هذا المقال الكلام عن بعض وسائل الاعلام وأعني بها الصحافة والاذاعة والتلفزيون والسينما والمسرح. والواقع أن وسائل الاعلام هذه تلعب دورا هاما في عملية التنشئة الاجتماعية للأطفال الصغار الذين يمتصون ما تقدمه لهم هذه الوسائل من مواد مرئية أو سمعية لها تأثير كبير في تشكيل سلوكهم خاصة عندما يقبل هؤلاء الأطفال على أبواب المراهقة حيث بداية نضج وعيهم. وسأتكلم في هذا الصدد عن ثلاث وسائل هي:

(أ) السينما ، (ب) الصحافة ،

(ج) الاذاعة ، موضحا أثرها في مجال انحراف الأحداث .

السينما وأثرها في مجال انحراف الأحداث

اختلف الباحثون في الدراسات الاجتماعية والجنائية في النظرة الى السينما ، فبينما يحاول بعضهم اعتبار السينما عاملا فعالا في التأثير على انحرافات الأحداث ، يحاول البعض الآخر التقليل من تأثير السينما في هذا الصدد . فالفريق الأول يرى أن السينما تؤثر على الأطفال بما تعرضه على شاشتها الفضية من مناظر الغش والخداع والكذب وكذلك من مناظر مغرية قد تثير الكوامن والطاقات الجنسية لدى الأطفال خاصة في مرحلة الطفولة المتأخرة . ثم ان بعض الأفلام التي تعالج موضوع الجريمة تسرد في قصصها مناظر البطولة لتأتي في النهاية وتضع حدا لنهاية هذا المجرم .. ان التأثير الذي تخلفه القصة في نفوس الأطفال وخاصة المراهقين منهم طوال مدة عرض الفيلم لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يتلاشى نتيجة للنهاية الحاسمة أو النهاية الخاسرة التي لقيها المجرم جزاء ما اقترفت يداه من آثام ... وجرائم .

ولقد انتهت أبحاث كثير من المتخصصين في شؤون الأحداث في أمريكا وفرنسا وبلجيكا وسويسرا وايطاليا ، الى أنه يجب عدم اغفال أثر السينما على الأحداث اذ يسهل استجابتهم لمختلف المؤثرات نظرا لضعف ملكة النقد لديهم .

وقد قام Blumer و Hauser بدراسة حاولا فيها معرفة أثر السينما في الهرب من المدرسة والى أي مدى يتأثر المنحرفون بواسطة صور معينة . وقد اتضح لهما أن للسينما الدور الكبير في التأثير على الأطفال ، وقد اتضح أن ١٠٪ فقط من بين ٣٩٣ مجرما ذكرا كان للسينما بعض التأثيرات على سيرهم في الحياة . وان ٤٩٪ من ١١٠ نزلاء في مؤسسات عقابية اتضح أن السينما أظهرت الرغبة لديهم لحمل بندقية ، وان ٢٨٪ منهم كانت السينما تحفزهم وتغريهم بمزاولة النصب والاحتيال و ٢١٪ يشعرون أن السينما تعلمهم طرق السرقة وطرق خداع البوليس .

وقد أوضحت بعض الدراسات التي أجريت على الأحداث الجانحين دور السينما الهام في هذا الصدد وانتهت الى النتائج الآتية :—

١ — ان الجانحين والمنحرفين يترددون بكثرة على السينما .

٢ — ان وسيلة ارتكاب الجريمة بين نسبة كبيرة من الأحداث الجانحين مقتبسة من الأفلام دون أن يكون الفيلم دافعا أساسيا للسلوك الاجرامي .

٣ — ان للسينما تأثيرا على القيم الأدبية وبصفة خاصة للبنات فقد تبين أن مشاهدة الأفلام العاطفية تؤثر في سلوكهن .

وقد جاء في تقرير هيئة الصحة العالمية لعام ١٩٥١ عن انحراف الأحداث وعلى لسان أحد القضاة الفرنسيين العاملين في ميدان رعاية الأحداث ما يأتي :

« لا يخالجني أي تردد في أن لبعض الأفلام البوليسية المثيرة معظم الأثر الضار على غالبية حالات الأحداث المنحرفين ، وأننا لهذا

السبب لسنا بحاجة الى البحث عن أسباب عميقة وراء السلوك الاجرامي عند هؤلاء الأطفال أو المراهقين » .

ومع ذلك فان ثمة فريقاً من الباحثين يرون أن السينما ليس لها أثر سلبي في هذا المجال، اذ يرون أن الاجرام انما يرجع الى أسباب عديدة وان مدى استجابة الأحداث للمناظر السينمائية يتوقف أساسا على استعداداتهم وتربيتهم ومن هؤلاء الأستاذ Mortimer J. Adler اذ يتساءل عن السبب في أن بعض الأحداث — دون غيرهم — يسلكون سلوكا منحرفا على الرغم من تردد من كل الفئتين على السينما بنفس القدر .

كما أن لجنة شكلتها وزارة الداخلية البريطانية عام ١٩٤٨ للقيام بدراسة أثر السينما على الأحداث قامت باستطلاع آراء ١٣٤٤ أخصائيا في شؤون الأحداث وانتهت الى أنه لم يثبت أثر السينما كعامل فعال في انحراف الأحداث . وقد أشارت جمعية القضاة في تقريرها المقدم الى تلك اللجنة الى :

١ — ان علاقة السينما بالانحراف لا تزال موضع جدل في كثير من الدول .

٢ — ليست هناك أدلة دامغة وكافية من شأنها أن تؤيد ما زعمه البعض من أن الأحداث ينحرف سلوكهم لمجرد ترددهم على السينما .

٣ — اذا بدا في حالة حدث ما أن السينما كانت مسؤولة عن انحرافه فان القيام بدراسة تحليلية شاملة ستظهر ان هذا الطفل سينحرف أيا كانت الظروف .

٤ — اذا كان للسينما دور فانه قاصر على عرض أمثلة لوسائل ارتكاب الجرائم فقط دون أن تكون باعثا فعلياً منذ البداية على الانحراف ، وقد اتضح من البحث الذي قامت به Gabrielle Decharneux على مجموعتين من الأحداث ، الأولى تمثل مجموعة من الأحداث الجانحين الذين أتوا الى محكمة أحداث بلجيكا وعددهم ٢٣٧ حدثا من الجنسين ، والمجموعة الأخرى ضابطة وعددها ٣٣٥ حدثا من الجنسين أيضا ، أقول اتضح لها من دراستها هذه أن السينما ليست سببا قائما بذاته في الانحراف.

كذلك لاحظ Burt في دراسته أن السينما ليس لها تأثير كبير اللهم الا في ٧٪ من الحالات التي قام ببحثها ولذلك فانه لا يعتبر السينما مؤثراً رئيسياً في الانحراف الا في حالات قليلة نادرة .

واذا ما تأملنا الدراسات الاجتماعية التي أجريت حول هذا الموضوع في عالمنا العربي نجد أن الدراسات التي قام بها الدكتور حسن الساعاتي أوضحت أن للسينما دورا لا يستهان به فقد تبين أن ٢٧٪ من الأحداث المنحرفين كانوا يترددون على السينما . فيما أوضحت دراسة المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية في مصر ان ١٥,٨٪ من الأحداث المنحرفين كانوا يقضون أوقات فراغهم في الذهاب الى السينما . وهذه النسب لا تجعلنا نغفل تأثير السينما في انحراف الأحداث .

وهكذا يتضح لنا من عرضنا لمختلف الأراء حول موضوع أثر السينما في هذا الصدد ، اذ أن أثرها لا يزال موضع جدل ونقاش من العلماء والباحثين في مجال رعاية الأحداث .

الصحافة

ونلاحظ في هذا الصدد نفس الوضع السابق اذ نجد بعض المفكرين يؤكدون أثر الصحافة كوسيلة لاستغلال الفراغ في انحراف الأحداث . فالصحافة تعتبر من أقوى وأسرع وسائل الاتصال الجماعي في التأثير على الأطفال بما تقدم لهم من مواد صحفية من قصص وأخبار وخاصة أخبار الجريمة التي تتناولها الصحافة وتعرضها بشكل مثير وكذلك بما ينشر من صور مثيرة تؤثر على خلق الأطفال وبالتالي على سلوكهم .

ولقد انتقدت الصحف والمجلات الأمريكية بعنف لدورها في الجريمة والانحراف . ويشير « دونلد تافت — Donald Taft » الى أن الصحف قد تكون مسؤولة عن زيادة الجريمة وذلك بتعليمها للوسائل الفنية لارتكاب الجريمة وكذلك لجعلها الجريمة تبدو عادية وجذابة فضلا عن التحريض عليها ، بالاضافة الى اظهارها نفوذ المجرمين واظهار أفعالهم على أنها بطولات ، وبجعلها الهرب من العدالة أمرا سهلا أو بانقاصها لشدة العقاب للجريمة ، وبالسخرية من نظام العدالة وبادارة مرافعات المحاكمات بواسطة الصحف أو الدعوة الى وسائل معينة من وسائل العلاج أو المكافحة تؤدي الى زيادة الجريمة لا الى نقصها .

وقد أكد العلامة سذرلاند — Sutherland الاتهامات التي توجه ضد الصحف فهي تعمل على نشر الجريمة باعلانها المتواصل عنها وتبجيلها المستمر لها وبواسطة تدخلها في شؤون العدالة بما يمكن تسميته « المرافعة بواسطة الصحف » ونشر الرعب العام بشأن الجريمة ، فضلا عن أنها تجعل الاستمرار في اتخاذ الاجراءات العادلة معها أمرا مستحيلا وبعدم مراعاتها لحق الشخص البريء في أن تظل مكانته الخاصة موضع احترام وغير قابلة للعبث بها .. وغير ذلك من أمور .

ثم هناك بعض الكتب والقصص والروايات ، فانها بما تحتويه من مواد تعالج الموضوعات المثيرة وخاصة الجنسية منها ، وكذلك بما تحتويه بعضها من صور خليعة تثير الغريزة في الأطفال وبخاصة أولئك المقبلين على مرحلة المراهقة وهذه الأفكار تجعل الأطفال يعيشون في أحلام اليقظة فيعرضون من ثم عن دراستهم وقد يهربون من المدرسة ، وهذا الهرب هو « عتبة الفشل» و «روضة الانحراف» على حد تعبير بعض العلماء .

وفضلا عن ذلك فان بعض الأطفال قد يحاولون تقليد ما يقرؤونه في هذه الكتب ومن هنا تكون الطامة الكبرى ويقعون في شر أعمالهم هذه التي كان مصدرها القراءة والاطلاع على الكتب الرخيصة .

ولكن .. هناك فئة أخرى من الباحثين يرون أنه ليس للصحافة والكتب وغيرهما أثر في الانحراف بل انها بنشرها أخبار الجرائم تهدف الى تبصير الناس بالحوادث الاجرامية وكيفية ارتكابها والوسائل التي ارتكبت بها حتى يتلافى الناس الوقوع في مثل هذه الحوادث .

كما أنهم يرون نشر أخبار الجريمة أمرا رادعا للجريمة لأنه يحمل النذير بأن الجريمة

لا تفيد . فالصحافة اذن يمكن اذا استخدمت بمهارة وحكمة وذلك بأن تساهم مساهمة فعّالة في منع الجرائم والحد منها وكشفها ذلك أن تكرار نشر أخبار القبض على المجرمين والمنحرفين وأخبار المحاكمات والأحكام في الصحف يوما بعد يوم يحدث التأثير على النفوس الميالة الى الاجرام . فضلا عن أن نشر أخبار الجريمة يساعد في القبض على مرتكبيها اذ يتيح الفرصة بتداول أوصافهم الشخصية على نطاق واسع مما يعرضهم لجيش من المتطوعين للقبض عليهم كما أن ذلك يعرقل تحركاتهم اذا كانوا هاربين. وقد حدث في لندن أن تم القبض على قاتل بعد ساعات من ارتكابه لجريمة ، وكان الفضل في ذلك يعود لنشر صورته في الصحف اذ تعرف عليه سائق سيارة أجرة كان قد أوصله الى مكان ما فأرشد اليه .

واذا تأملنا الصحافة في كل من انجلترا والولايات المتحدة الأمريكية نجد أن هناك فارقا كبيرا في نشر أخبار الجريمة في كل من البلدين . فبينما نلاحظ أن الصحف الأمريكية لديها الحرية في أن تقول ما تشاء عن المتهم وتنشر عن سوابقه وعن ماضيه الاجرامي ، فان الصحف الانجليزية لا تملك أن تشير أية اشارة الى أية جريمة سابقة للمتهم مهما كانت تافهة ، فانه منذ بدء مطاردة المتهم وحتى وقت القبض عليه وأثناء محاكمته والى أن يضع القاضي قبعته السوداء لينطق بالحكم فان الشفاه يجب أن تغلق وأعمدة الصحف يجب أن تخلو من أي شيء يمكن أن يضر أو يؤثر في الدعوى أو القضية .

والواقع أن هذا الجدل الذي يثار بشأن الصحافة لا يجعلنا أيضا نقطع برأي فانه لا يمكن اتهام الصحافة بأنها ذات أثر ضار لأنه لا يمكن عزل تأثير الصحافة عن المجتمع . وفي نظري أن الذي يجب أن يكون موضع اهتمام هو معالجة موضوع الجريمة بشكل علمي لا بشكل صحفي اخباري .

أوقات الفراغ وبرامج الاذاعة

تعتبر الاذاعة وسيلة من وسائل قضاء واستغلال أوقات الفراغ ، ونلاحظ أن الجدل السابق الذي رأيناه حول كل من السينما والصحافة يتكرر هنا أيضا . والواقع أن رسالة الاذاعة ذات هدفين ، فهي من جهة رسالة ثقافية ومن جهة أخرى اداة للترفيه عن المستمعين من عناء العمل ومن أثر التعب ... ويجب أن يسير الهدفان جنبا الى جنب بحيث لا يخل أحدهما بالآخر فلا يصح أن يؤدي الترفيه عن المستمعين الى المساس بالمعايير الخلقية أو الاخلال بالمثل العليا كما لا يجب أن يكون التوجيه بطريقة جافة بحيث تجعل جماهير السامعين ينصرفون عن الاستماع الى الاذاعة .

ان الذي قد يشكل خطرا من وراء برامج الاذاعة هو أن أي تعاون في اختيار ما يذاع قد يدفع للانحراف كما أن انصراف الأطفال الى الاستماع ببرامج الاذاعة وبالتالي اهمال دروسهم وواجباتهم المدرسية الأمر الذي يسبب تأخرهم الدراسي ، وبالتالي يؤدي الى فشلهم الدراسي ومن ثم يتعثرون في شق طريقهم في الحياة ، وهذا من شأنه أن يسبب لهم مركب نقص ويحاولون من ثم أن يعوضوا عن مثل هذا النقص ، وفي محاولتهم هذه قد يرتكبون بعض الأفعال الانحرافية بدافع حب الظهور . وهكذا كان الدافع الأساسي على الانحراف هو الاذاعة . ولعل هذا ما حدا ببعض المفكرين والكتاب في الخارج الى المطالبة بمنع اذاعة بعض البرامج المثيرة وخاصة التمثيليات البوليسية المحضة وقصص شرلوك هولمز وغيرها . .

وعلى أية حال فان موضوع أثر الاذاعة في شغل أوقات الفراغ وبالتالي في الجريمة والانحراف لا زال في حاجة الى كثير من الدراسة والبحث ، دراسة تحليلية احصائية حتى يمكن تحقيق ما اذا كان هناك دور تلعبه الاذاعة والتلفزيون أيضا . وكل الذي أستطيع قوله هنا هو أن جميع وسائل الاعلام تعتبر سلاحا ذا حدين يمكن بفضله توجيه الأطفال توجيها حسنا أو سيئا .

الفراغ الاجتماعي والفراغ النفسي

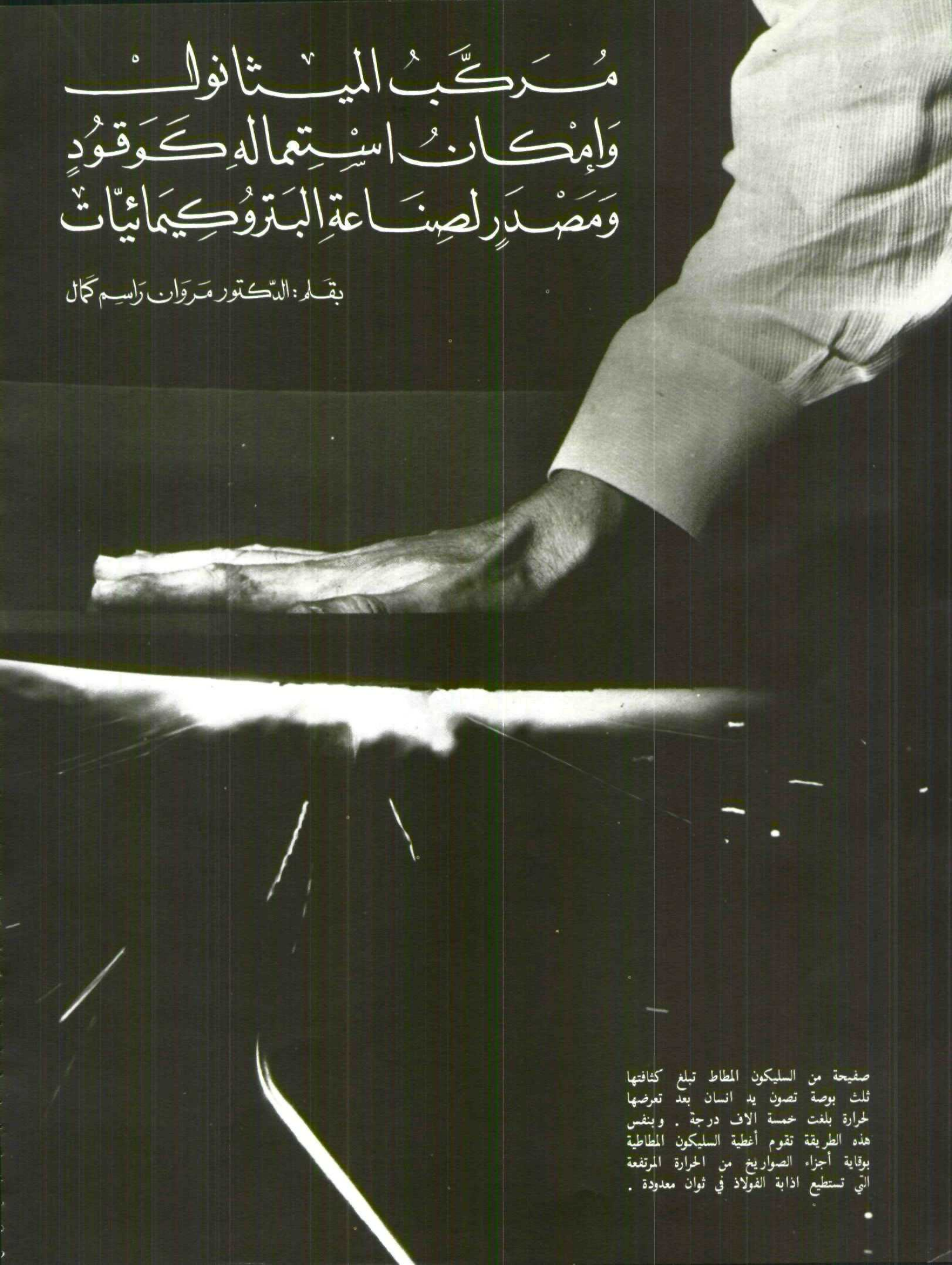
الواقع أن بعض المشكلات الاجتماعية لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تعزى الى الفراغ الاجتماعي أو بمعنى آخر الى أوقات الفراغ مهما كان الوسط الاجتماعي الذي يؤثر في الأفراد وأيضا أيا كانت الوسائل التي يقضى بواسطتها هذا الفراغ ، ذلك أن هناك أمرا هاما يؤثر في الحياة الاجتماعية الا وهو « الفراغ النفسي » الذي يتضح بصورة جلية في المجتمعات الأجنبية ، والذي ينعكس في ذلك القلق وتلك الحيرة المسيطرة على عقول ونفوس الشباب في تلك المناطق فيتصرفون تصرفات يعدها المجتمع تصرفات شاذة . وهذا الفراغ النفسي ما هو الا نتيجة لخلو تلك النفوس من الايمان ، فان هذا القلق وهذه الحيرة التي تظهر بوضوح لدى الشباب الغربي ليست الا نتيجة لافتقارهم الى الايمان الذي يعتبر ومضة نور تذكي النفوس وتدفعها دوما الى طريق الخير والصلاح . ان ما يشوب تلك المجتمعات من تيارات مختلفة قد ساهمت في ايجاد ذلك الفراغ النفسي ، فأضحى معظم الشباب الغربي بلا عقيدة ، وافتقر الى الايمان فأضحى يعاني ويقاسي من القلق والحيرة التي بددت الطمأنينة في النفوس ، وأحلت محلها الاضطراب الذي قاد كثيرا من هؤلاء الشباب الى طريق الغواية والانحراف الأمر الذي أصبح يهدد تلك المجتمعات . فتأثرت الحياة الاجتماعية من جميع جوانبها مما دعا بعض المفكرين وعلماء الاجتماع الى أن ينعوا على التطور الحديث احلاله العلاقات المادية مقام العلاقات الروحية فكان أن زاد الخواء والفراغ النفسي في بعض النفوس .

ويمكن القول أن السبب الرئيسي الذي يمكن أن يعزى اليه قلة الجرائم والانحرافات في المملكة العربية السعودية هو أنها تسير على هدى الكتاب والسنة ، فتطبق تعاليم الشريعة الاسلامية السمحة بطريقة تدعو للتقدير والاعتزاز ، لأن هذه التعاليم لو طبقت في أي مجتمع من المجتمعات كما يجب لأصبح ذلك المجتمع خاليا من المشكلات الاجتماعية . وعلى ذلك فان الايمان الممزوج بالعمل الصالح يحقق للمجتمعات الانسانية الأمن والاستقرار والتقدم ■

د. حسن خفاجي
جامعة الملك عبد العزيز – جدة

مُركّبُ الميثانول وإمكان استعمالهِ كوقودٍ ومصدرٍ لصناعةِ البتروكيمائيّات

بقلم: الدكتور مروان راسم كمال



صفيحة من السليكون المطاط تبلغ كثافتها ثلث بوصة تصون يد انسان بعد تعرضها لحرارة بلغت خمسة الاف درجة . وبنفس هذه الطريقة تقوم أغطية السليكون المطاطية بوقاية أجزاء الصواريخ من الحرارة المرتفعة التي تستطيع اذابة الفولاذ في ثوان معدودة .

فهرست المجلد الثاني والعشرين

١٣٩٤

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
تراجم ولقاءات وتاريخ :			
القارات وصلات عضل والديش بهذيل وبني زهرة	أمين مدني	جمادى الأولى	٣٦
مع الدكتور فاروق الباز (لقاء)	سليمان نصر الله	شعبان	٧
سحيم شاعر قتله شعره	محمود الشرقاوي	رمضان	٤٧
دار القراء في المدينة المنورة (تعقيب)	حمد الجاسر	ذو القعدة	٣١
بحوث نفسية وتربوية :			
التجاوب اللاارادي	ابراهيم أحمد الشنطي	محرم	١٩
أساليب الاتصال والارشاد في تنمية المجتمع المحلي	سلامة أحمد الشواف	جمادى الثانية	١٧
العلم لا يصنع الانسان	د. زكريا ابراهيم	جمادى الثانية	٣٢
الفراغ وأثره في الحياة الاجتماعية	د. حسن علي خفاجي	ذو القعدة	٢١
الفراغ وأهم وسائل استغلاله	د. حسن علي خفاجي	ذو الحجة	٢٢
بحوث علمية وفلكية :			
الميل الى الاستحداث وآثاره على النمو الصناعي	محمد مسلم الردادي	محرم	١٣
دور الجامعة السعودية في التنمية الصناعية والاقتصادية (ندوة الخدمات العامة)	سليمان نصر الله	صفر	٧
الصفر المطلق	نقولا شاهين	صفر	١٥
دور الجامعة السعودية في التنمية الصناعية والاقتصادية (ندوة الأبحاث)	سليمان نصر الله	ربيع الأول	٤
العلم يسبر أغوار المحيطات	ابراهيم أحمد الشنطي	ربيع الأول	١٥
دور الجامعة السعودية في التنمية الصناعية والاقتصادية (ندوة القوى العاملة)	سليمان نصر الله	ربيع الثاني	٩
عقاقير من أعماق البحر	زكريا خليل البنا	ربيع الثاني	٣٥
الانسان والبحر	سليمان نصر الله	جمادى الأولى	٧
المكوك الفضائي	نقولا شاهين	جمادى الأولى	٤٣
الهيدروجين كمصدر للطاقة	د. مروان راسم كمال	جمادى الثانية	١١
قياس أبعاد الاجرام السماوية عن الارض وعن بعضها البعض	نقولا شاهين	رمضان	٩
البعوضة ... العدو اللدود للانسان	سليمان نصر الله	رمضان	٣٩
تحلية المياه	د. مروان راسم كمال	شوال	٣١
طرق الاتصال بين المخلوقات البحرية	زكريا خليل البنا	ذو القعدة	٣٣
الميثانول واستعماله كوقود ومصدر لصناعة البتروكيميائيات	د. مروان راسم كمال	ذو الحجة	٢٥
الوجه الخلفي للقمر وتحليل تركيب سطحه وداخله	نقولا شاهين	ذو الحجة	٤١
بحوث تتعلق بصناعة الزيت :			
الأحماض وأهميتها في صناعة الزيت	فتحي أحمد يحيى	محرم	٢١
استغلال الزيت وطرق انتاجه المختلفة	فتحي أحمد يحيى	صفر	٢٥
دلائل جوفية تساعد على اكتشاف الزيت	يعقوب سلام	ربيع الأول	٢٥
البحث عن الزيت في المناطق المغمورة	ابراهيم أحمد الشنطي	ربيع الثاني	٢٥
أرامكو – ١٩٧٣	....	جمادى الأولى	٢٥

البحث عن مصادر جديدة للطاقة الشغل الشاغل لكثير من البلدان الصناعية اليوم لأسباب عديدة من بينها ان البترول وهو المصدر الرئيسي للطاقة ، مصدر قابل للاستنزاف بالاضافة الى اخطار تلوث الجو الناتجه عن استعماله وغيره من مصادر الطاقة الأخرى .

وقد توجهت الأنظار مؤخراً الى مصدرين يمكن ان يكون لهما اثر كبير في حل ازمة الطاقة مستقبلاً . وهذان المصدران هما الهيدروجين والميثانول . وهناك ميزات عديدة لاستغلال هذين المصدرين اهمها سهولة تحضيرهما وقلة خطر التلوث الجوي عن طريق استعمالهما كوقود . وبينما لا يزال هنالك العديد من العقبات التكنولوجية التي يجب التغلب عليها من ناحية انتاج الهيدروجين بتكاليف معقولة بالاضافة الى ايجاد الوسائل المناسبة لخزنه ونقله وتطوير الأجهزة اللازمة لاستعماله كوقود للسيارات، فان استعمال « الميثانول » لا يحتاج الى تطور تكنولوجي كبير للتمكن من استغلاله . ويمكن استعمال مركب « الميثانول » كمصدر لبعض البتروكيميائيات المفيدة جداً .

ان هذه الصفات الخاصة بالميثانول قد دفعت البلدان المنتجة للغاز الطبيعي الذي يعتبر مصدراً رئيسياً للميثانول ، دفعتهم الى فكرة انشاء مصانع لتحويل هذا الغاز الى مركب « الميثانول » لكي يصبح احد صادراتها الهامة الى البلدان الصناعية .

الميثانول : خواصه الطبيعية وطرق تحضيره

يسمى الميثانول احياناً « كحول الخشب » وهو مادة بسيطة التركيب تحتوي على هيدروجين وكربون واكسجين ، وتمثل بالرمز الكيميائي (CH_3OH) وهو يعتبر من أبسط المواد الكحولية تركيباً ، كما أنه أقل كثافة من الماء حيث تبلغ كثافته ٠,٧٩ ويغلي على درجة حرارة مقدارها ٦٤,٥ درجة مئوية . ومن خواص « الميثانول » أنه عديم اللون ويذوب في الماء بنسب متعددة. ويعتبر من المواد السامة حيث أن شربه او استنشاقه مدة طويلة يؤدي الى العمى والوفاة احياناً .

كان مركب « الميثانول » في الماضي يحضر عن طريق تقطير الخشب مما ادى الى تسميته بكحول الخشب ، وقد استعملت هذه الطريقة خلال القرن التاسع عشر كمصدر لانتاج الميثانول في فرنسا . كما استعمل الألمان والفرنسيون ايضاً هذه الطريقة لانتاج « الميثانول » خلال الحربين العالميتين وذلك عندما واجهوا نقصاً كبيراً في البنزين في تلك الفترة .

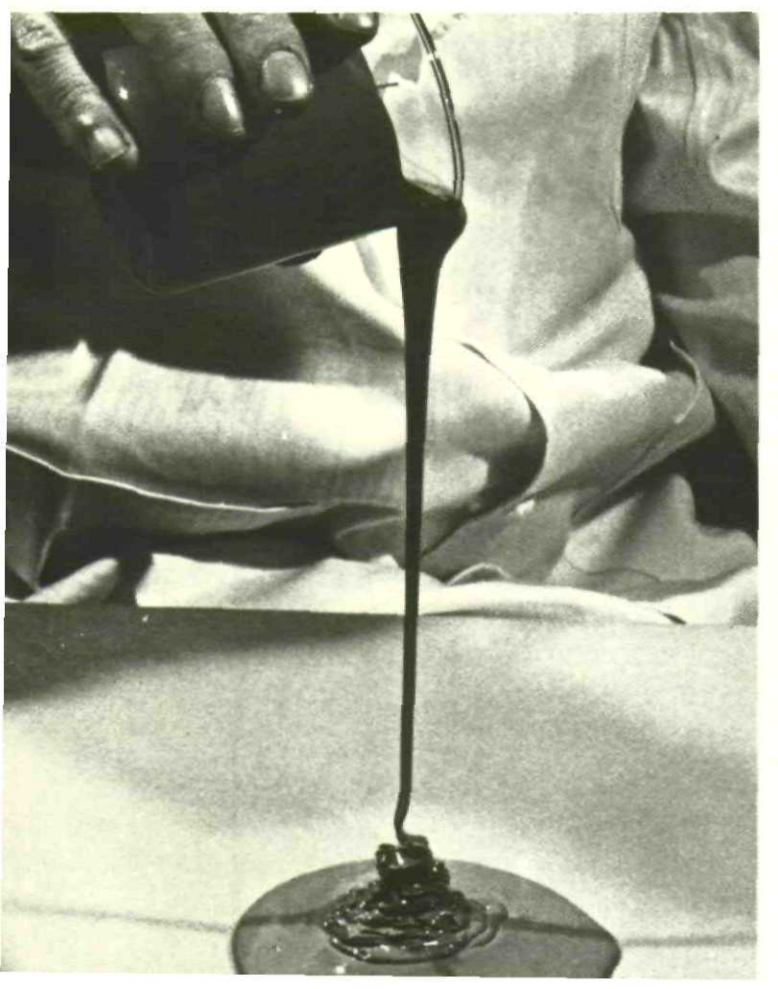
أما في الوقت الحاضر فان الطرق الرئيسية المتبعة لانتاج مركب « الميثانول » تعتمد على تفاعل كيميائي بين مادتي اول اكسيد الكربون والهيدروجين على درجة حرارة وضغط عاليين بالاضافة الى استعمال بعض المركبات غير العضوية كمواد مساعدة .

$$CO + 2H_2 \longrightarrow CH_3OH$$

ك أ+٢يد٢ ⟵ ك يد٣ أ يد (الميثانول)

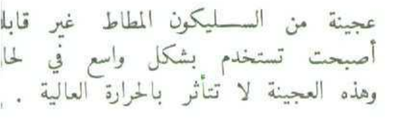


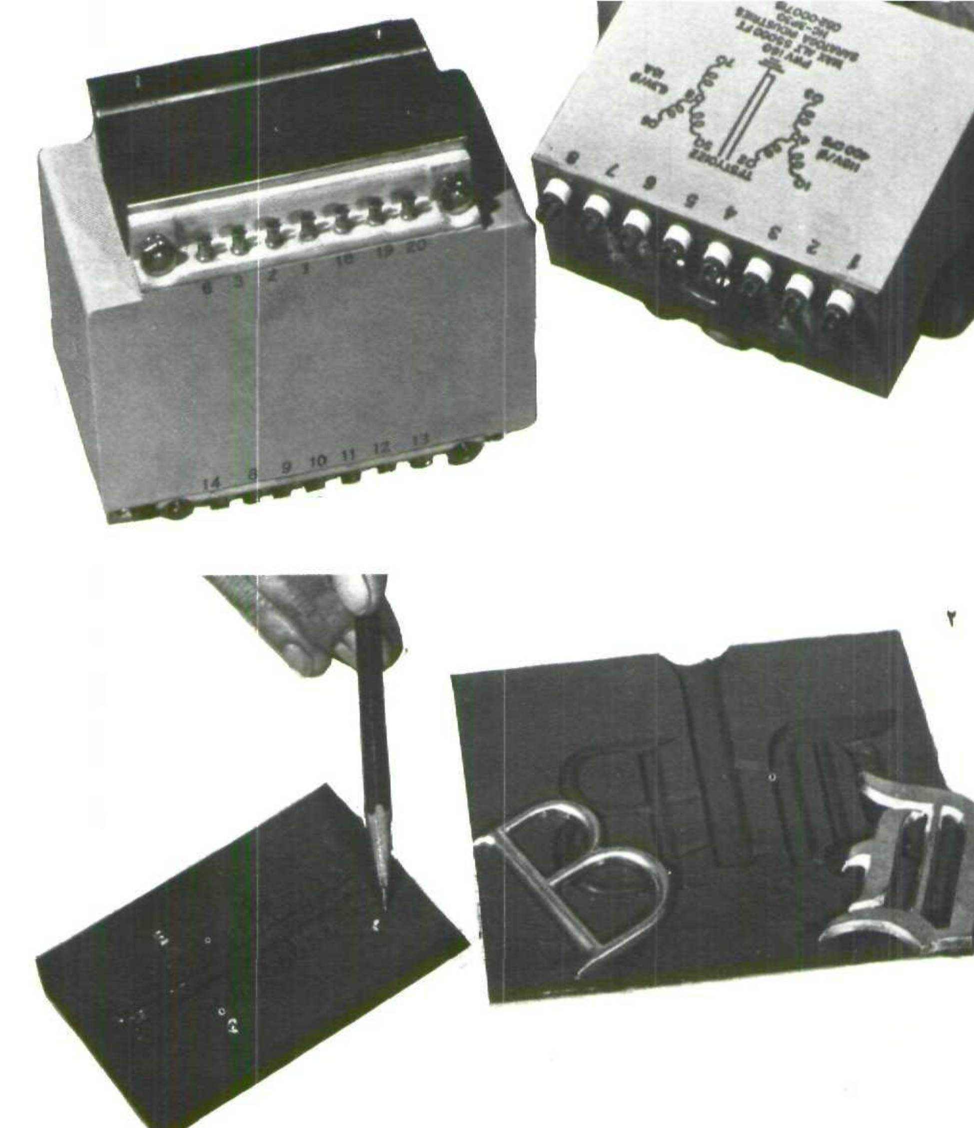
عينة من السليكون المطاط التي تتحمل درجات الحرارة العالية وهي هنا تتعرض لحرارة عالية جداً بلغت خمسة الاف درجة ، تستطيع اختراق الفولاذ بل واسالته في ثوان .



ينساب السليكون المطاط وهو في حالة السيولة كما ينساب العسل ولكن بعد اضافة المواد الكيماوية التي تجعل منه سائلا متماسكاً كالمطاط الطبيعي .




عجينة من السـليكون المطاط غير قابل...
أصبحت تستخدم بشكل واسع في الحا...
وهذه العجينة لا تتأثر بالحرارة العالية .



١ – غالباً ما تغلف المحولات وغيرها من الأجهزة الالكترونية بسائل السليكون المطاط وذلك لحمايتها من الرطوبة والأخطار البيئية الأخرى . ولم تتمكن انواع اخرى مـن المطاط الصمود للحرارة التي تعرض لها أثناء الخدمة مثل مطاط السليكون .

٢ – بعض القوالب المصنوعة من السليكون التي تستخدم في صب عدد من انواع المعادن ذات الحرارة المنخفضة .

ومن الجدير بالذكر ان اول اوكسيد الكربون والهيدروجين المستعملين في هذه العملية يمكن انتاجهما عن طريق تفاعل كيميائي يتم بين الغاز الطبيعي والماء تحت ظروف معينة كما يتبين من المعادلة التالية .

$$CH_4 + H_2O \longrightarrow 3H_2 + CO$$

ك يد٤ + يد٢أ ←—— ٣ يد٢ + كأ

كما يمكن تحويل الغاز الطبيعي عن طريق تفاعله بالاكسجين في ظروف معينـة ، الى مركب « الميثانول » كما يتبين من المعادلة التالية:

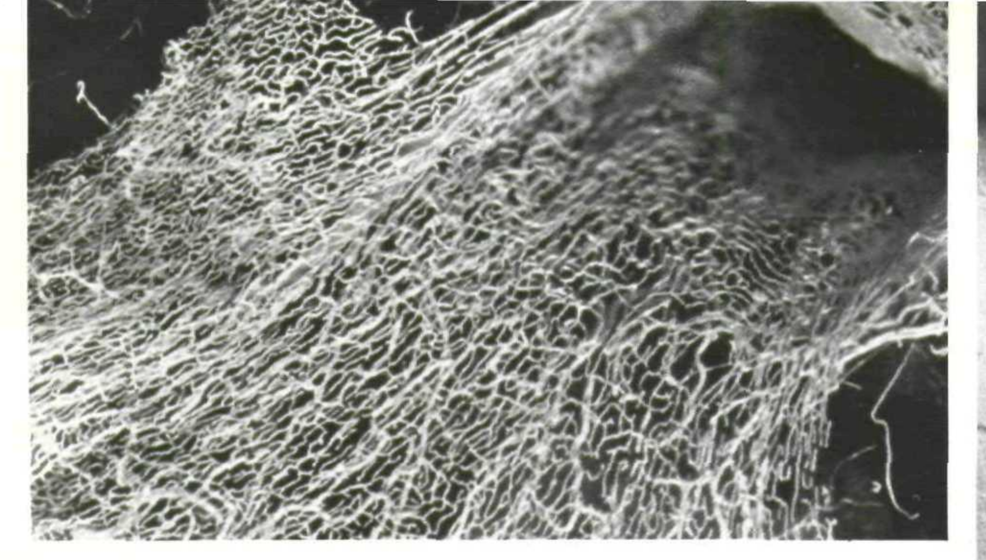
$$2CH_4 + O_2 \longrightarrow 2CH_3\ OH$$

٢ك يد٤ + أ٢ ←—— ٢ك يد٣ أيد

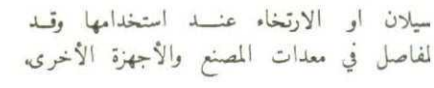
وهناك طريقة يمكن بها تحضير مركب « الميثانول » من البترول نفسه او الفحم الحجري او الحجر الزيتي وكذلك من الفضلات العضوية .

الميثانول كوقود

اذا ما امعنا النظر في الفائدة التي يعود بها وقود معين ، فان هناك عنصرين مهمين يجب أخذهما بعين الاعتبار ، اولهما الكمية الحرارية الناتجة عن احتراق وزن معين من هذا الوقود ، وثانيهما الكمية الحرارية الناتجة عن احتراق حجم معين من هذا الوقود . ولدى مقارنة الكميات الحرارية الناتجة هذه مع الكميات الحرارية الناتجة عن المحروقات الأخرى ، يمكن الاستنتاج ما اذا كان الوقود المنشود ذا أهمية ام لا . ويبين الجدول التالي الكميات الحرارية الناتجة عن احتراق « غرام » واحد من الميثانول والهيدروجين والبنزين وكذلك الكميات الحرارية الناتجة عن احتراق سنتمتر مكعب من الميثانول والهيدروجين والبنزين .






سيلان او الارتخاء عنـــد استخدامها وقـد
لفاصل في معدات المصنع والأجهزة الأخرى،

١- جزء من شريان حي في جسم امكن تصويره بالاستعانة بالسليكون المطاط . هذا ويجري حقن السليكون في حالة السيولة حيث لا يلبث ان يتصلب السائل ويشكل ثلاثة انواع من العينات تستخدم في الدراسات المختبرية واعمال الأبحاث .

٢- اسطوانة من البلاستيك امكن انتاجها بواسطة قالب مصنوع من السليكون المطاط السائل ، ويظهر القالب الدقة المتناهية لدرجة ان الدمغة الأصلية قد ظهرت على القالب الى اليمين . هذا وتستخدم قوالب السليكون في اعادة انتاج النماذج المعقدة ، والأجزاء والنماذج الأساسية حيث يتطلب في صناعتها الدقة المتناهية .

الطاقة الناتجة عن احتراق بعض المواد (في حالة سائل)
الحرارة الناتجة عن الاحتراق

المادة	جدول للغرام الواحد	جدول للسنتمتر المكعب الواحد
ميثانول	٢٠,٠٠٠	١٥,٩٠٠
هيدروجين	١٢٤,٧٠٠	٨,٧٠٠
بنزين	٤٤,٣٠٠	٣٠,٩٠٠

يبين هذا الجدول ان الهيدروجين اقل هذه المواد من ناحية الوزن الجزيئي غير أنه يعطي كمية أعلى من الطاقة الحرارية عند احتراق « غرام » واحد منه . اما مركب الميثانول فان الطاقة الحرارية الناتجة عن احتراق سنتمتر مكعب منه قد تضاهي الحرارة الناتجة عن احتراق الحجم نفسه من الهيدروجين . وبالطبع فان البنزين بات في الوقت الحاضر يضاهي كلا من الهيدروجين والميثانول كمصدر للطاقة حيث ان تكاليف انتاجه لا تزال اقل من التكاليف

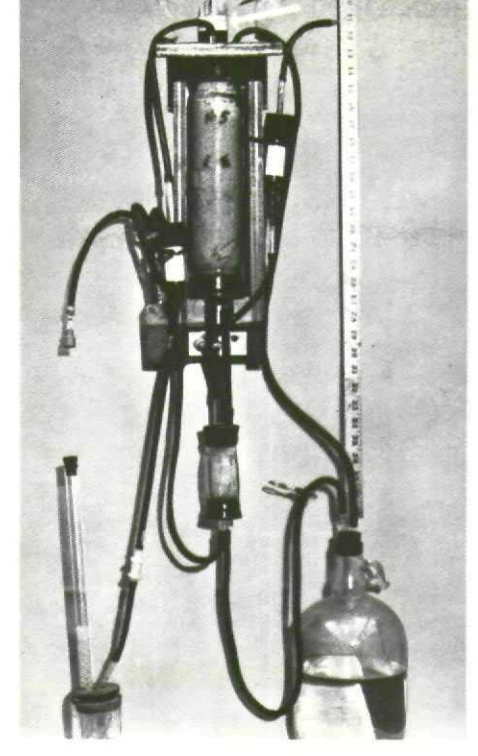


أحد العلماء يصنع خليـة شمسية مـن السليكون داخل حجرة اختبار في احد المولدات .

استخدم المهندسون في مؤسسة ماكدونالد للطيران مادة السليكون المطاط في سد الكبسولات التي حملت الرواد الى الفضاء.

الكميات الصغيرة من قطع البلاستيك اللازمة
في اعداد النماذج الخاصة فيما قبل الانتاج قد أمكن انتاجها من
مادة السليكون المطاط وذلك في وقت اسرع واقل تكلفة . وقد تم صنع قالب
لانتاج صندوق بطارية راديو متنقل ، ويتكون القالب من قطعتين مصنوعتين من السليكون المطاط .





نبتة موز تنمو داخل انبوبة اختبار معقمة لاجراء ابحاث علمية عليها . ويندفع ساق النبتة في داخل الوعاء المعقم خلال فلينة من السليكون المطاط تحول دون دخول العناصر غير المعقمة الموجودة في الجو الى جذور النبتة .



يستخدم السليكون المطاط كمادة لسد الشقوق بين الاسمنت والمواد الأخرى على حد سواء . وذلك لمنع التشققات بامتصاصه لأي تقلص او تمدد يحدث نتيجة لتغير الفصول .

المترتبة على انتاج الهيدروجين او الميثانول . ومن ناحية أخرى فان استعمال مركب الميثانول كمصدر للوقود يؤدي الى تقليل خطر التلوث الجوي .

هذا وقد دلت التجارب التي أجريت مؤخراً على سيارات تسير بمركب الميثانول كوقود على ان استعمال الميثانول يؤدي الى مزايا ايجابية ، وخاصة في تقليل انتاج كمية اول اكسيد الكربون وزيادة تسارع السيارة وتخفيض درجة حرارة البخار الناتج عن احتراق الوقود . وبالاضافة الى استعمال « الميثانول » كوقود مباشر ، فان هناك دراسات أخرى تجرى الآن على استخدام هذه المادة في تكوين خلايا الوقود (Fuel Cells) المبنية على أساس التفاعل بين مركب الميثانول والهواء .

الميثانول كمصدر للبتروكيميائيات

ان استعمال الميثانول كمصدر للطاقة على نطاق واسع لا يعتبر مجدياً من الناحية الاقتصادية في الوقت الحاضر نظراً لوجود بدائل اخرى مغرية من الناحية الاقتصادية كالبنزين والغاز الطبيعي ، الا ان استعمال الميثانول كمصدر للبتروكيميائيات يحتل مركزاً مهماً في هذا المضمار .

ان معظم « الميثانول » الذي يتم انتاجه في الوقت الحاضر يحول الى مادة « الفورمالديهايد ـ Formaldehyde » عن طريق اكسدة مركب « الميثانول » بدرجه حرارة عالية وبوجود معدن الفضة كعامل مساعد كما تبين المعادلة التالية :

$$CH_3\ OH + O_2 \longrightarrow CH_2O + H_2$$

ك يد٣ أيد + أ ٢ ⟵ ك يد٢أ + يد ٢

وتستعمل مادة « الفورمالديهايد » لانتاج « يوريا ـ فورمالديهايد ـ Urea-Formaldehyde Resins » والناتجة عن تفاعل مادة اليوريا مع « الفورمالديهايد » .

وكذلك يمكن تحويل مركب « الميثانول » الى مادة « كلوريد المثيل ـ Methyl Chloride » المستعملة في استحضار مواد السليكون وكذلك في عملية تحضير « مطاط البيوتل ـ Butyl Rubber »

ومن الجدير بالذكر ان الولايات المتحدة الأمريكية وحدها قد أنتجت ما يعادل ٥٩٥٦ مليون رطل من مركب الميثانول في عام ١٩٧٢ لاستعماله في صناعة البتروكيميائيات السابقة الذكر ■

د . مروان راسم كمال
كلية البترول والمعادن ـ الظهران

نبوة الفلسفة

بقلم : الأستاذ محمد المجذوب

كانت غرفة ابي عبد الله الخاصة باستقبال اهل العلم خالية الا من ثلاثة : هو وصديقه الثقة (ابو جعفر) وولده عبد الله الذي يتولى خدمة والده وضيفه ، فهو بين مقام وقيام .. وكان جو المجلس ثقيلاً يتجلى أثره في ملامح الكآبة التي تجلل وجوههم ، وبخاصة في اطراقة ابي عبدالله التي ضاعفت وقار المجلس ، فهو يصغي الى حديث ضيفه في تدبر وتعمق يمسكان لسانه عن الكلام ، الا عبارات موجزة يرسلها ذاكراً او محوقلاً . . .

ولم يكن الحديث بجديد على سمع الشيخ ، فهو على علم تام بواقع الفتنة الرهيبة التي يوقد ابن ابي دؤاد واصحابه نارها في مجلس المأمون، الذي أخذ ببريق الفلسفة الدخيلة ، فأقام على ترجمتها ونشرها فريقاً من الصابئة والنساطرة ، ممن لا يسرهم شيء مثل تعطيل الفكر الاسلامي المنبثق من منابع الوحي ، ليحلوا مكانه مقاييس اولئك الذين آمنوا بتفوقهم العقلي من وثنيي يونان والهند وفارس وصابئة حران . . . بل ان الشيخ مع ذلك ليعلم الظروف والرجال الذين بدأوا بث هذه الوساوس في اوساط الأجيال الجديدة من أبناء المسلمين منذ أواخر العصر الأموي فيرد مبادئها كلها الى الجهم بن صفوان ، الذي باشر فتنته باثارة فضول الفارغين حول تأويل صفات الله الثابتة في نصوص القرآن والسنة ، اذ راح يزنها بمعايير اولئك الوثنيين فينكر منها كل ما لا يتفق مع مقرراتهم ، ضارباً بعلوم السلف من الصحابة والتابعين عرض الحائط . . الأمر الذي فتح الباب واسعاً لبلبلة فكرية ولدت العديد من الفرق ، وجرفت الكثير من الطاقات الاسلامية ، التي كان يؤمل بها للاسلام خير عظيم . . .

ولم يسع الشيخ الا الموافقة على رأي صاحبه حين أخذ يقرر ان محنة الاسلام بالمعتزلة قد فاقت كل ما واجهه من المحن حتى اليوم ، لأنها استطاعت ان تتسلل الى مقر السلطة العليا ، فتستولي ببهرجها على رأس الخليفة نفسه ، الذي اسلم زمامه الى دعاتها فراح يصب الوان البلاء على مخالفيهم ، فيعرضهم للتعذيب والعزل ، حتى ليكاد يخلي مناصب الحكم والقضاء من كل رجل لا يقول بخلق القرآن ، ولا ينكر الصفات العلى التي اثبتها الله لذاته . . .

وتمتم الشيخ في اناة مهيبة وهو يحدق في غير منظور : أجل يا أبا جعفر انها المحنة نفسها التي تعرضت لدعوة المسيح أيام انتقلت من الخفاء الى العلانية ، فانقسم رجالها فريقين ملتزماً جادة التوحيد كما حددها نبي الله عيسى عليه السلام . ومتفلسفاً تشبع بافكار حكماء يونان والاسكندرية ، فأبى الا ان ينسخ دين الحق بمبادىء التثليث ، الذي لم يلبث ان شاع في اوساط النصارى ، بحماية الدولة الرومانية ، التي نصرت هذا الفريق المنشق لأنه اقرب الى مواريثها الوثنية . . .

وامسك قليلاً ثم استأنف : ولئن جبن رجال الاسلام عن مقارعة الباطل بكلمة الله القاهرة لن يكون ثمة مندوحة عن الوقوع في الهاوية نفسها ، التي انتهت اليها ملة السيد المسيح على أيدي اولئك المتفلسفين والعياذ بالله .

وأجاب ابو جعفر : فما العمل اذن ؟ . . لقد بلغت المحنة ذروتها يا أبا عبد الله ، فالعالم الذي لا يرضي رأي هؤلاء المسيطرين على الدولة ، مصيره ما بلغك وما لم يبلغك من الأهوال . . حتى صاحبنا العالم محمد بن ادريس



الشافعي لم يستطع التخلص من الفتنة الا باللجوء الى المعاريض .. فلقد امتحن باستكشاف عقيدته حول ضلالة خلق كلام الله في التوراة والزبور والانجيل والقرآن ، فقال وهو ينظر الى يده : اما هذه فمخلوقة من غير شك .

ويقرع الباب الخارجي .. ويخرج ابو عبدالله ليستقبل صاحب (خبر السر) الذي أبلغه انه مدعو لمقابلة صاحب الشرطة ..

كان الشيخ ليجهل ما وراء هذه الدعوة ، فهو يعلم ان الخليفة المأمون قبل خروجه للجهاد في أرض الروم ، قد كلف صاحب شرطته اكراه اهل العلم على القول بمذهبه في موضوع القرآن ، فلم يسلم من بلائه الا الذين وافقوه ولو تقية .. ويدري الى ذلك ان المأمون وعماله لن يطمئنوا الى رواج نحلتهم ما دام الشيخ قائماً على معارضتها .. فالمحنة اذن كبيرة ، والخطب جسيم ، لأن الخصم هو الدولة ، ولا ناصر للشيخ الا الله .

واستمهل الرجل ليودع أهله ، واستمع الى صاحبه أبي جعفر الانباري يهمس في اذنه وهو يعتنقه : يا أبا عبد الله . انت اليوم رأس الناس فوالله لئن اجبت الى هذه الضلالة ليركبن طريقك خلق كثير .. ومع هذا فانك ستموت ان لم تقتل .. فاتق الله في دينك وفي أهل الحديث الذين يتطلعون الى موقفك ...

وغلب الأسى قلب الشيخ فبكى ....

وجعل يردد : ما شاء الله .. ما شاء الله ..

كان مجلس ابن مصعب حافلاً بعلماء الاسلام بين قائم وقاعد ، وكلهم ينتظر دوره لمواجهته ، وقد شغل كل بذات نفسه ، حتى لا يكاد واحد يوجه بصره الى الآخر .. ورفع صاحب الشرطة بصره الى وجوه القوم ، حتى اذا لمح ابا عبد الله قادماً امام رسوله لم يتمالك ان وقف ، وقد بدا عليه الارتباك فلم يدر كيف يتصرف ، ثم امر فقدم للشيخ مقعد ، وبعد صمت قليل راح الرجل يوجه بلاغه الى المشايخ وهو يوزع بصره بينهم وبين الرقعة التي بين يديه : ان أمير المؤمنين أيده الله بنصره يدعوكم الى ان تصححوا عقيدتكم فتفردوا الله سبحانه بالوحدانية ، اذ كان ولم يكن معه شيء ، وقد خلق كل شيء فقدره تقديراً ، والقرآن شيء فهو اذن مخلوق لله ، حدث عندما اراد الله له الحدوث .

وجعل صاحب الشرطة يعيد كلامه هذا على كل واحد بمفرده ، فاذا وجد منه تردداً في الاقرار لم يتردد هو في اعلان عزمه على تنفيذ اوامر الخليفة بانزال اشد العقاب على المخالفين .. هذا علاوة عن حرمانه كل عمل في ظل الدولة ..

وراح الشيخ أبو عبدالله يدير عينيه في وجوه الحضور ، وقد جحظتا حتى ليخيل للناظر انهما توشكان على الخروج من حجاجيهما ، او ان الرجل قد أصابه شيء من المس .. وتهيب الشيوخ نظر أبي عبدالله ، وكاد كثير منهم يرفع صوته بالرفض .. ولكن واحداً تغلب على تردده فقال : ان لأمير المؤمنين حق الطاعة ، وما انا ممن يعصي امره .. وما كاد هذا يتم عبارته حتى تتابع معظم الحضور على مثل ذلك الاعتراف ، في نبرات متفاوتة لم يستطيعوا اخلاءها من آثار التهدج ...

ولم يكن للعامل مندوحة عن توجيه العبارة نفسها الى الشيخ ، فلم يتلبث ان ركز في وجهه ناظريه النافذين اللذين لم يطق الرجل مواجهتهما فأطرق ببصره وهو يستمع الى جوابه الصريح الحاسم : ان طاعة امير المؤمنين واجبة في

طاعة الله ورسوله ، وقد اخبرنا صلى الله عليه وسلم ان لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . . .

— وهل في طاعة أمير المؤمنين معصية لله يا أبا عبدالله ؟ . . .

— ان القرآن كلام الله ، وهو احدى صفاته العلى ، ولا يجوز القول بأن صفة الله مخلوقة . . ولو كان ذلك جائزاً لما فات علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا السلف الصالح من بعده . . .

ولاحظ العامل مدى الأثر الذي تركه جواب الشيخ في نفوس الكثرة من الحضور فخشي ان يفلت زمام الموقف من يده فأسرع بفض المجلس واعلن انه سيبعث بأبي عبدالله الى الخليفة ليتولى هو امره بنفسه . . .

ولم يغب عن بال الشيخ ما وراء توجيهه الى المأمون ، بعد ان بلغه انذاره اياه بالقتل ، فلم يسعه الا ان يضرع الى الله في نفسه الا يريه وجهه . . وشاء الله الا يبتعد عن بغداد الا قليلاً حتى جاء النبأ بوفاة المأمون وتنصيب خلفه المعتصم بالله فاعيد الى بغداد حيث أدخل السجن بانتظار اوامر الخليفة الجديد . . .

وطال سجن الشيخ حتى اذا عاد المعتصم الى حاضرة الخلافة من رحلته مع أخيه المأمون لم يلبث ان بدأ مهامه باقرار المذهب الذي اراده سلفه ، والقضاء نهائياً على كل محاولة يشتم منها رائحة المعارضة له

ورأى المعتصم ان يمزج الاقناع بالارهاب فحشد حول المجلس غير قليل من حملة السيوف وقد جردوها من اغمادها ، ومن حملة الرماح ركزوها بـين أيديهم ، وطرحت السيـاط هنا وهناك . . ثم حضر أساطين المعتزلة ، يتقدمهم الوزير ابن الزيات وكبير القضاة احمد بن أبي دؤاد ، ورأس المتكلمين بشر المريسي . ومن ثم جيء بالشيخ ابي عبدالله من سجنه حتى وضع بين يدي المعتصم .

واتجهت الأبصار الى الرجل الذي ماجت بغداد كلها لحبسه .. واحتشدت الآلاف حول القصر تتسقط انباء مناظراته . ولم يستطع بعض الحضور اخفاء دهشته لانشغال الدولة كلها بهذا الأسمر الطوال ذي الشعر المخضوب بالحناء ، وقد بدا في ثيابه البيض الغلاظ ونظره الثاقب ذي البريق المهيب ، كانه في معزل عن مظاهر العظمة والرهبة التي تحف بمجلس الخليفة . . .

وحمي وطيس المعركة واحمرت حدق المعتزلة على الشيخ ، وراحوا يحرضون الخليفة للتخلص منه بالقتل ، على انه كافر ينكر البديهي من صفات الله . . . وشغل المعتصم بامر أبي عبدالله فخصص له مجلساً من كل يوم ، وفي كل مرة يزيد في التشديد عليه ، ويضاعف من قيوده الحديدية ، التي كان عليه ان يرسف بها كلما سيق الى المجلس . واراد المعتصم ان يستطلع نتائج هذا الجو في نفس الشيخ فجعل يحاوره :

— يا أحمد تكلم ولا تخف .

— والله ما دخلت عليك قط وفي قلبي مثقال حبة من الفزع .

— والآن . . ما تقول في القرآن ؟

— كلام الله قديم غير مخلوق . .

— وما حجتك ؟

— قوله تعالى : (وان احد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) .

— اوعندك غير هذا ؟

— نعم . حدثنا المحاربي عن الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عبدالله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اذا تكلم الله بالوحي سمع صوته اهل السماء فيخرون سجداً .) ومثل ذلك حديث أبن مسعود : (اذا تكلم الله سمع له صوت كمد السلسلة على الصفوان .)

واذن الخليفة لابن أبي دؤاد فأخذ يوجه الى الشيخ ما يظنه من المقنعات المفحمات . ولكن أبا عبدالله ابى ان يعيره اي التفات ، ولما سأله المعتصم لما لا يرد عليه اجاب : لأنني لا اعرفه من أهل العلم .

وركز المعتصم بصره الحاد في وجه الشيخ ثم يقول : والله انه لعالم ، وانه لفقيه وما يسوؤني ان يكون معي يرد عني اهل الملل . . »

وفي رقة مغشاة بالشدة يقول له : « يا أحمد . اما تعرف صالحاً الرشيدي ؟ . . كان مؤدبي ، وكان في ذلك الموضع جالساً ، فسألته عن القرآن فخالفني ، فأمرت به فوطيء وسحب . . يا أحمد . . اجبني الى شيء لك فيه ادنى فرج حتى اطلق عنك بيدي . . اجل والله . . لئن اجبتني لأطلقن عنك بيدي ولأركبن اليك بجندي ، ولأطأن عقبك يا أحمد . والله اني لأشفق عليك كشفقتي على هارون ابني . . فما تقول ؟

وبالتصميم الذي لم يهن يجيب الشيخ : اعطوني شيئاً من كتاب الله او سنة رسوله .

ويضيق صدر ابن ابي دؤاد فيقول له : انت لا تقول الا ما في كتاب الله او سنة رسول الله ؟ . .

ولكن يتمالك احمد فيرد عليه في تصميم اشد وهو يوجه اليه نصف بصره : اني امرؤ علمت علماً فقلت به ، وتأولت أنت تأويلات لا سند لها من كتاب ولا سنة ، ومع ذلك لم تحبس ولم تقيد . .

ويقبل ابن ابي دؤاد على المعتصم : يا أمير المؤمنين اقتله . . انه كافر . . كافر مضل . . ويردد كل من الوزير بن الزيات وبشر المريسي ومن حولهما من أنصار المعتزلة ورجال القوة : اقتله . . اقتله . . يا امير المؤمنين . .

ويتمتم الخليفة : لقد عاهدت الله الا اقتله بسيف ولا آمر بقتله بسيف . . ويعقب على ذلك ابن ابي دؤاد وبشر المريسي جميعاً : فما يمنع أمير المؤمنين ان يصب عليه السياط ؟ . .

وهنا صاح المعتصم ، وكأنه تذكر منسياً : احضروا الجلادين . . .

واستطالت أيام التعذيب على الشيخ واتخذ اشكالاً وضروباً . . دون ان تغير شيئاً من اصراره الأول ، حتى انطلق صوت بعضهم يقول : اكل هؤلاء تغلبهم ايها الشيخ ؟ ويصرخ آخر : يا أمير المؤمنين . . دمه في عنقي . . اقتله . . ويكرر المعتصم : ويحك يا أحمد . ما تقول ؟ . . فيجيب الشيخ : أتأذن في الكلام ؟ . .

ويرد الخليفة : قلها ولو كليمة تفرج عنك .

— الى اي شيء دعا الله ورسوله ؟

— الى شهادة ألا اله الا الله .

— فانا أشهد ألا اله الا الله . . ثم ان جدك ابن عباس يقول : لما قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوه عن الايمان فقال : شهادة الا اله الا الله وان محمداً رسول الله ، واقام الصلاة وايتاء الزكاة ، وان تعطوا الخمس من المغنم .

وفطن الخليفة الى مراد الشيخ اذ لم يجد في تعريف نبي الله للايمان ما يشير الى خلق القرآن من قريب او بعيد ، فلم يستطع مواجهة الحجة ، وقال في لهجة تنم عن ندامة مخنوقة : لولا اني وجدتك في يد من كان قبلي ما عرضت لك .

والتفت الى مرافقه يقول : يا عبد الرحمن ابن اسحق . . ألم آمرك برفع المحنة ؟ . . وكانت كلمة مفاجئة اضطربت لها أعصاب كبار المعتزلة . . فلم يتمالك ابن ابي دؤاد

فدنا من الخليفة وجعل يخاطبه في مثل الهمس يا أمير المؤمنين .. لئن تركت الرجل ليقولن الناس انك تركت مذهب المأمون وسخطت مقالته ...

وكان هذا كافياً لاطفاء الشعلة التي راودت قلب الخليفة ، فاذا هو ينتفض غضباً ويصيح بالجلادين : ايتوني بغير هذه السياط .. انها ضعيفة لا تصلح لما اريد . ويصدر امره لكل جلاد بأن يضرب الشيخ سوطين على أشد ما يستطيع .. ولكنه لم يرض عما يرى فيصيح بكل منهم : شد . قطع الله يدك ...

وفجأة ترق لهجة المعتصم ويستأنف خطاب الشيخ : يا أحمد . علام تقتل نفسك ؟ .. اني والله عليك لشفيق . ويجيب الشيخ في تجلد عجيب : اعطوني شيئاً من كتاب الله او سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اقول به . وخيل للمعتصم ان في تشبث الشيخ بهذا الجواب المكرور تحدياً لمنصبه وشخصه لا قبل له باحتماله ولا يصلح ان يسكت عنه ، فترك للسانه ان يقول ما شاء ، ثم هتف بالعقابين : خذوه واسحبوه وخلعوه .

وطرح الشيخ على جهاز التعذيب ، فسحب وخلع واكب على وجهه ثم جعل العقابون يتداولون وطأه بكل قوتهم .. حتى اغمي عليه .. وكأن القاضي قد وجد في حالة الشيخ هذه ، وقد شرع يسترد وعيه ، الفرصة المواتية فاقترب منه وجعل يقول في نبرة حاول ان يغلفها ببعض اللين : يا أحمد .. قل في اذني ان القرآن مخلوق حتى أخلصك من يد الخليفة .

واجاب احمد ، وهو يسترد انفاسه ويصطنع التبسم : يا ابن ابي دؤاد .. قل في اذني ان القرآن كلام الله ليس بمخلوق حتى اخلصك من عذاب الله عز وجل ..

وعادت بعض الأصوات تدعو الى قتل الشيخ .. ودنا عجيف السياف ذو اللحية الطويلة فقرع رأسه بقائم سيفه فتهلل وجه أحمد سروراً وراح يتمتم : جاء الفرج والحمد لله . الآن يضرب عنقي فأستريح . الا ان ابن ابي دؤاد قد خالف هذه المرة في امر القتل ، وراح ينصح للمعتصم : لا يا امير المؤمنين .. لا تقتله فانه ان قتل او مات في دارك قال الناس : لقد صبر حتى الموت ، فيثبتون على رأيه ، ويتخذونه اماماً . ولكن الرأي ان تطلقه الساعة ، فان مات خارج منزلك راودهم في أمره الشك ...

ولم يتردد الخليفة في ايثار ذلك الرأي ، ولكن القضية الآن هي : كيف تم اعادته الى منزله دون ان تشاهد الجموع المحتشدة في الشوارع والساحات آثار التعذيب عليه .. الا ان المشكلة سرعان ما حلت حين اقترح بعضهم على المعتصم الاستفادة من الشبه القائم بين الشيخ وعمه .. فدعا بالعم وامر ان يعرض على الجماهير ونادى منادى الخليفة بالناس : اليس هذا احمد بن حنبل .. انظروا اليه .. اليس هو صحيح البدن ؟ وارتفعت الأصوات باعلان الموافقة والرضى .

ولم يسمح المعتصم بتسيير الشيخ الا بعد ان يخلع عليه من خير الثياب .. وبعد ثمانية وعشرين شهراً من السجن والبلاء سار الشيخ الى منزله برعاية رسل الخليفة . ومن غير الطريق التي يتوقعها الناس .. فما ان احتوته داره المتواضعة من بغداد حتى شرع في خلع ما خلع عليه ، ثم لم يلبث حتى بيعت الثياب ووزعت على ذوي الحاجات .

وشاء الله ان تسكن العاصفة الى حين .. وقد ساعد على ذلك غياب المعتصم عن بغداد في تلك الغزوة التي تعلقت بها قلوب المسلمين في انحاء الدولة العباسية كلها ، اذ كانت انتفاضة ايمان هزت نخوة الخليفة البطل ، فلم يستطع تأخير زحفه الى الموعد الذي اشار به الناصحون ، بل سرعان ما حشد الفيالق ، وعقد الألوية وسار في طليعتها باتجاه مدن الروم ، التي لم تلبث ان تهاوت حصونها لديه الواحد تلو الآخر حتى انتهى الى عمورية مسقط رأس الامبراطور الغادر الذي أثار هذه الحرب الضروس بعدوانه على زبطرة مسقط رأس المعتصم .. وقتله الثلاثين الفاً من حاميتها المسلمين ، ثم ايقاعه البلاء الهائل في سباياها من النسوة والأطفال الذين شردوا في مختلف الانحاء .. وقد بلغت المأساة قمتها في تلك المرأة الهاشمية التي لم يكتف احد العلوج باسترقاقها بل جعل يصب عليها الوان العذاب والهوان ، وهو يصرخ بها : ادعي نسيبك المعتصم يقدم لانقاذك . فلا تملك رداً على ذلك الهزء اللاذع بأكثر من ندائها المبحوح وامعتصماه .. وما أسرع ما لامست تلك الصيحة مسمع المعتصم على لسان اسير أستطاع الفرار من قبضة ذلك العلج ، فاذا الغضب يجتاحه واذا صوته يدوي في جوانب القصر بهذه الاجابة المثيرة : لبيك .. لبيك : »

واقعدت الأوجاع ابا عبدالله حتى لا يستطيع الصلاة الا قاعداً .. ولشد ما آلمه ان تحول السن وآثار البلاء بينه وبين الالتحاق بجيش المعتصم ، فيكتفي مضطراً بالدعاء له ، واستنزال النصر على جيوشه وعلى الرغم من كل النكبات التي نزلت به على أيدي خصومه من المعتزلة وبأيدي معذبية من الجلادين لم يراود قلبه أي اثر للشماتة بهم عندما جاء دورهم من عقوبة الأقدار .. فهذا ابن الزيات يقبض عليه ليزج في التنور الذي كان يعذب به معارضيه وذلك ابن ابي دؤاد يتقلب في قبضة الفالج ، وقد صودرت اموالهما وضياعهما ونفائسهما جميعاً ...

وذلك ابو العروق الجلاد ، الذي جاوز الحد في ايجاع أحمد ، يعاني عجائب البلاء في مرض طويل قلب صوته الى مثل نباح الكلاب ..

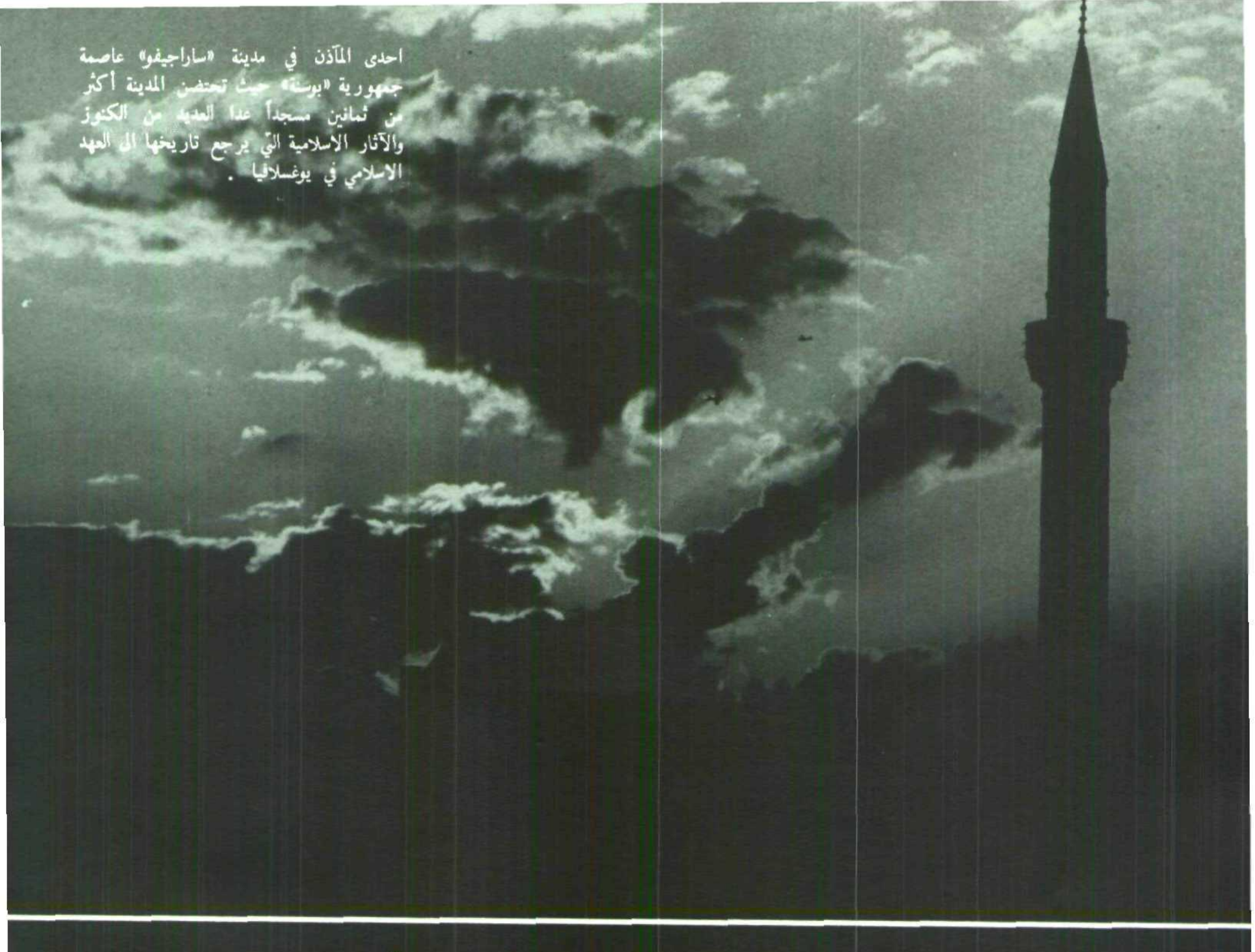
ويسمع عبدالله اباه ذات ليلة يدعو في ادبار صلواته فلا يتمالك ان يسأله: يا ابت .. من ابو الهيثم هـذا الذي لا يكاد دعاؤك يخلو من اسمه ؟

فيمسك الشيخ قليلاً ثم يقول : يا بني .. لما دفع بي الى السياط بين يدي العقابين اذا انا بشاب يجذب ثوبي من ورائي ، ويقول : تعرفني ؟ .. قلت : لا . قال انا ابو الهيثم العيار اللص الطرار ، مكتوب في ديوان أمير المؤمنين اني ضربت ثمانية عشر الف سوط بالتفاريق وصبرت على ذلك في طاعة الشيطان ولأجل الدنيا ، فاصبر انت على طاعة الرحمن لأجل الدين والآخرة ...

وكانت ذروة الفرح يوم جاء عبد الله مسرعاً على غير عادته ليضع بين يدي والده النبأ العظيم : لقد فتح الله يا ابت على امير المؤمنين فحطم جيوش الروم ، وثأر لزبطرة بتدمير عمورية .. وهو الآن مع جيوشه المنصورة يسوقون عشرات آلاف الأسرى في الطريق الى حاضرة الخلافة .. اصغ يا ابت .. اصغ .. الا تسمع تكبير الجموع تملأ احياء بغداد ...

ويخر ابو عبد الله ساجداً .. ويسجد معه ابنه .. وتغلب على الشيخ حرارة الفرحة ، فلا يستطيع ان يمنع صوته من الظهور ، وهو يجأر الى ربه بهذه الضراعة اللاهبة : اللهم اغفر لعبدك المعتصم .. اللهم اني احللته من حقوقي فتوله برحمتك وايده بنصرك كفاء ما حققت على يديه من كرامة للاسلام والمسلمين .. ■

محمد المجذوب — المدينة المنورة



احدى المآذن في مدينة «ساراجيفو» عاصمة جمهورية «بوسنة» حيث تحتضن المدينة أكثر من ثمانين مسجداً عدا العديد من الكنوز والآثار الاسلامية التي يرجع تاريخها الى العهد الاسلامي في يوغسلافيا .

الإسلام في الشرق الأدنى

شهدت الجزيرة العربية انبثاق نور الاسلام قبل نحو اربعة عشر قرناً بنزول الوحي على النبي العربي محمد بن عبدالله، صلى الله عليه وسلم ، في غار حراء يوم الاثنين لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان المبارك عندما اتاه جبريل عليه السلام ، وقال له : اقرأ : فقال ما انا بقارىء فضمه ضمة قوية حتى بلغ منه الجهد، وقال له: اقرأ: فقال ما أنا بقارىء، فضمه كذلك ثم أطلقه وقال لــــه في الثالثة : **(اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم)** ، فكانت هذه الآيات

وعاود الرسول الذهاب الى غار حراء مدة ، وقد سمع ذات يوم صوتاً من السماء ، فرفع اليه بصره ، فاذا الملك الذي جاءه اولاً بين السماء والأرض فرجع الى داره قائلاً لزوجه دثروني فنزل قوله تعالى **(يا ايها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر)** وهذا هو بدء دعوته صلى الله عليه وسلم .

انطلقت الدعوة الاسلامية من رحاب الجزيرة العربية لتنداح رقعتها في ارجاء واسعة من المعمورة في مواكب النـــور وقوافل الايمان التي ايدها الله بنصر من عنده . . ومع مرور

وصلت الى اسبانيا فقامت هناك دولة اسلامية عريقة دامت ثمانية قرون تقريباً ، كما امتدت الفتوحات الاسلامية على يد العثمانيين الى اوربا الشرقية في دول البلقان ويوغسلافيا والصرب وغيرها من البلدان المجاورة للدولة العثمانية وهي البلدان التي كانت تعرف بالشرق الأدنى .

ان معظم الناس في هذه الأيام باتوا يعرفون ولا شك اين تقع منطقة الشرق الأدنى والبلدان التي تدخل ضمن نطاقها ، لكن الأمر لم يكن بمثل هذه السهولة قبل مائة عام . فقد كانت منطقة الشرق الأدنى في ذلك الحين ، وحتى الحرب الكونية الأولى تشمل كلا من

يعرف في ذلك الوقت بالبلقان ، وهو ما يعرف اليوم بيوغسلافيا .

ويوغسلافيا تعتبر اليوم دولة شرقية من حيث انتمائها الى كتلة دول اوربا الشرقية فقط ، غير ان الاهتمام الدبلوماسي بالمسألة الشرقية خلال تلك الحقبة وحتى عام ١٩١٣ كان مركزاً على منطقة رفرفت عليها راية الاسلام زهاء خمسة قرون ظلت السمات الاسلامية خلالها بارزة ومميزة .

ومع ان جمهوريات « البوسنة » و « الهرسك » و « الصرب » و « مكدونيـا » اليوغسلافية قد وقعت تحت يد الأتراك خـلال غزو تركيا لاوربا في القرن الخامس عشر ، الا ان « سلوفينيا » وقسماً كبيراً من جمهورية « كرواتيا » بقيتا تحت حماية امبراطورية « هابسبورغ » ، اما جمهورية « مونتينجرو » فرغم خضوعها للحكم التركي فترة من الزمن الا انها تمكنت في النهاية من شق طريقها نحو الاستقلال . اما المسلمون هناك والمنحدرون من الفاتحين الأتراك فانهم يشكلون ما يقارب من ١٢ في المائة من سكان يوغسلافيا حالياً . وفي جمهوريتي « البوسنة » « والهرسك » يشكل السلافيون المسلمون « Muslim Slavs » حوالي ثلث تعداد السكان .

ونتيجة للفتح التركي ليوغسلافيا فان آثار الثقافة الاسلامية هناك ما زالت ظاهرة للعيان وتعتبر أموراً مألوفة وذلك من ملابس شرقية براقة محاكة على شكل تنانير طويلة ، وأغطية الرأس ، والاحذية ، والخط العربي الموجود فوق اللافتات والأبنية ، والحلي التركية المنقوشة ذات الأحجام الكبيرة ، وجرار الماء المصنوعة من النحاس ، والقرى العربية في جمهورية « البوسنة » بجدرانها المطلية بالجير .

بالإضافة الى هذه الآثار التي تدل معالمها على الحضارة الاسلامية التي تأثرت بها تلك المناطق حقبة طويلة من الزمن ، يستطيع المرء سماع اصداء اسلامية أخرى ، وذلك ان اسمي « عمر » و « مصطفى » منتشران بين السكان بما لا يقل عن انتشار اسمي « ميلان » و « برانكو » . كما ان اللغة الصربية — الكرواتية ، وهي اللغة السائدة بين العديد من اللغات اليوغسلافية مطعمة بكلمات تركية . فالكلمة الصربية « شوغام — Shogham » وتعني « مع السـلامة » قريبـة من الكلمة العربية « سلام » ، وهي تعبير عن السلام في العربية . كما ان اغاني الحب الشائعة في جمهورية « البوسنة » وتدعى « سيفدالينك — Sevdalinke » مأخوذة أيضا من كلمة تركية تبدأ بالمقطع الأول نفسة « .Sev » من الكلمـة ذاتها .

وكلمة « عفارم » العامية هي التي يقابلها بالانجليزية .O. K، وهي الكلمة نفسها الدارج استعمالها في تركيا وبعض الدول العربية .

وكلمة « مرحبا » التي يستخدمونها للتحية والترحيب بالضيف هي الكلمة ذاتها التي يستخدمها العرب للغرض نفسه. وبالاضافة الى ذلك فهناك أماكن متعددة تحمل اسماء يرجح ان تكون من التراث الاسلامي ايضاً ، فبلدة « موستار » على سبيل المثال مأخوذة من الكلمة التركية ذات المقطعين « ستاري موست » او الجسر القديم وتشتهر هذه البلدة بجسرها التركي القديم .

وبلدة « تكية » هي كلمة تركية ايضاً وتعني مكاناً للراحة ، وبلدة « حصار » وتعني تحصين بالعربية وهي مبنية على احدى التلال . واشهر اسم لمكان هو بلدة « ساراجيفو » وتعني قصر في الحقول .

لم يقتصر التأثير الاسلامي في المنطقة على مثل هذه الأسماء فقط ، بل تداخل في صميم التراث الحضاري للشعب السلافي عن طريق الغذاء أيضاً . وهناك وجبات معروفة مثل شيش كباب اي اللحم المشوي ، وبلاف دولماس ، وتدعى احياناً سارماس ، وبقلافا اي البقلاوا التي اصبحت تستخدم حتى في السويد لأنواع عديدة من الحلوى المصنوعة بالجبن .



احدى المخطوطات العربية ويوجد منها عدد كبير في صحن احد الجوامع الأثرية في مدينة « بوستيبلج » .

ان « دوبروفنيك » المدينة الساحلية العريقة التي عرفت في القرون الوسطى باسم « راغوسا » والتي نجحت في مقاومتها للاتراك ، تحوي اليوم بقايا من التراث الاسلامي ، من ذلك مثلاً صناعة السجاد . وتتضارب الاراء حول صناعة السجاد هنا فهناك من يقول ان صناعة السجاد هي حرفة قديمة لسكان جمهورية « بوسنة » والرأي الآخر يقول بأنها حرفة تعلموها من الأتراك خلال السنوات التي تلت الفتح التركي « لبوسنة » في القرن الخامس عشر .

لم تكن الحياة خلال القرون التي حكم الأتراك فيها المنطقة اسوأ مما كانت عليه ايام حكم الملوك المسيحيين الاقطاعيين لها . ذلك ان الأتراك كانوا أقل وطأة عندما فرضوا جزية وضرائب أقل مما فرضه الملوك والنبلاء ، ومن ذلك مثلاً ان الأتراك كانوا يقبلون دفع الضرائب



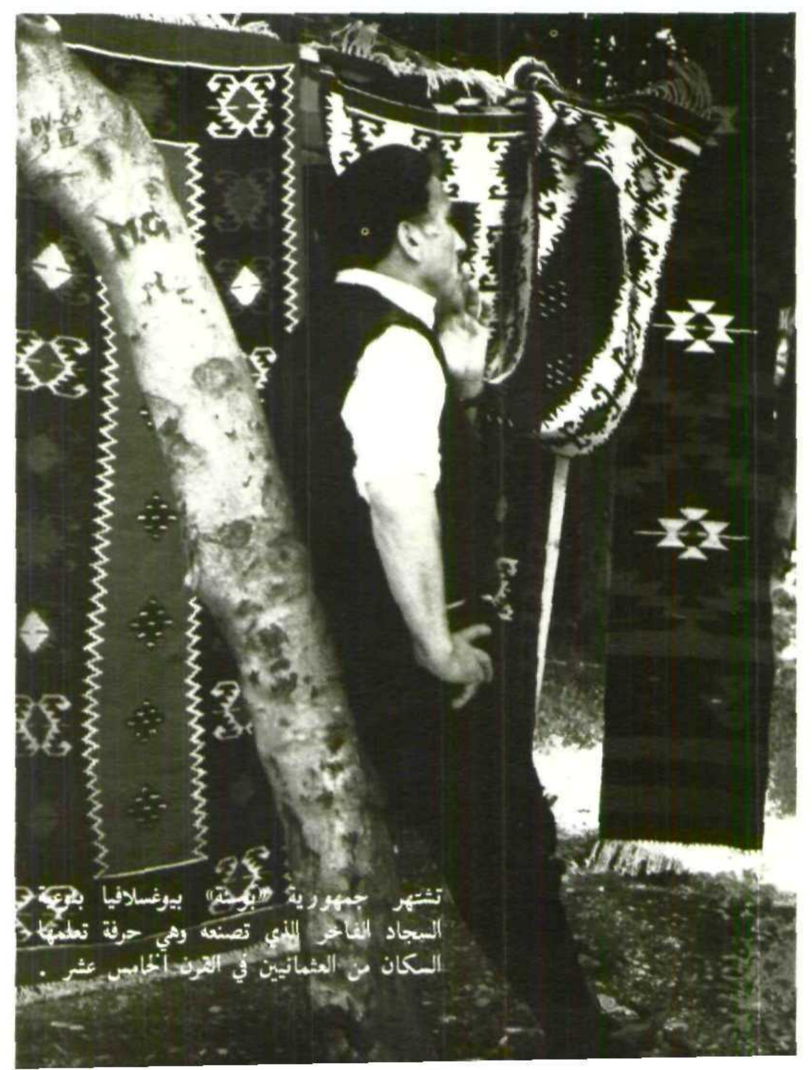
مجموعة اخرى من السجاد من احجام مختلفة معروضة للبيع في احد شوارع مدينة « كوركولا » بيوغسلافيا وقد بدت خلف البائع مئذنة شاهقة لأحد الجوامع في المدينة .

على شكل خدمات بدلاً من اغتصاب ارض او دفع مال . كما كانوا ايضاً اكثر تسامحا بالنسبة لحرية الأديان وخاصة تجاه اتباع كنيسة الارثوذكس الشرقية الذين سبق وان اقاموا معهم علاقات وصفت بأنها كانت اكثر انفتاحاً .

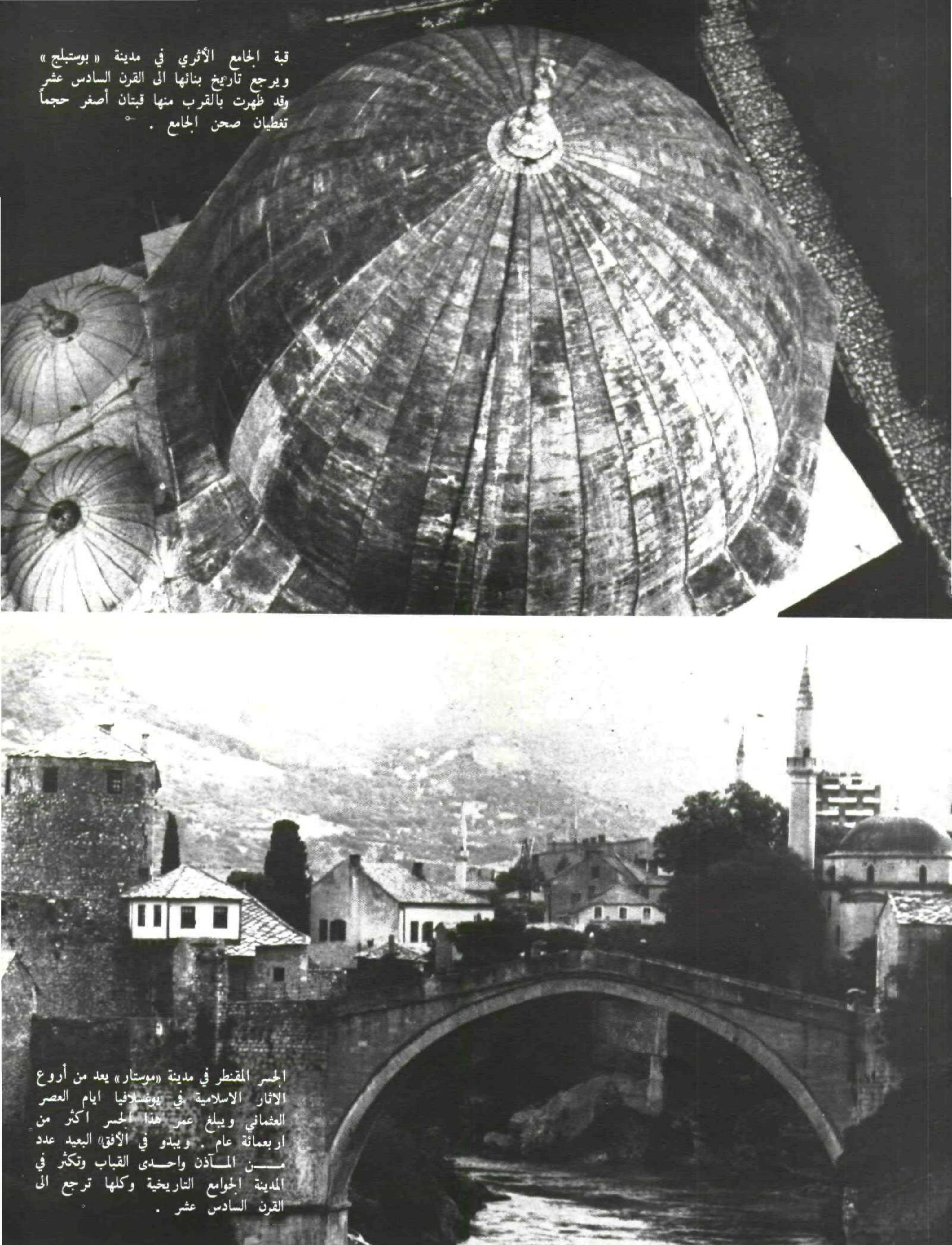
وبالرغم من هذه الحرية التي تمتع بها السكان المحليون في اقامة شعائرهم الدينية فقد كانت هناك قواعد اساسية يتحتم على غير المسلمين اتباعها ومنها : عدم انشاء ابراج للكنائس ، اذ يجب ان تكون مآذن المساجد هي أطول الأبنية الدينية في المدينة ، وعدم ايجاد اجراس في الكنائس لئلا يصرف طنينها انتباه الناس عن المؤذن ، ولا يسمح بالتجمعات المختلطة . وخلاف ذلك فان المواطنين يستطيعون ممارسة طقوسهم الدينية بحرية تامة . وقد أشار الى ذلك الكاتب الفرنسي « جين بودين » الذي عاش في عام ١٥٧٦ بقوله : كان الملك التركي .. دون تحديد أي ملك معين .. يسمح للفرد بالعيش حسب ما يمليه عليه ضميره ، كما كان يسمح باقامة الشعائر الدينية للأديان من يهودية ومسيحية ، واسلامية .

وقد كانت غالبية السكان في معظم اجزاء يوغسلافيا ابان الحكم التركي من المسيحيين . اما في « بوسنة » فقد تمكن السلاف المسلمون من الهيمنة على الحكم وخاصة في مدينة « ساراجيفو » وكانت سيطرتهم على الحكم متينة جداً لدرجة انهم اصدروا مرسوماً يمنع الوزير التركي الذي كان مسؤولاً عنهم اسمياً من المكوث اكثر من ٤٨ ساعة داخل المدينة . وكانت مدينة « ترافنيك » التي تبعد حوالي ٥٠ ميلاً هي المقر لاقامة الوزير . واستمر الوضع كذلك حتى عام ١٨٥٠ عندما قام « عمر باشا » وهو مسلم من « بوسنة » بالقضاء على استقلال المسلمين السلاف واخضاعهم للسلطة التركية .

وفي عام ١٨٧٨ وبعد الحرب الروسية التركية وضعت « بوسنة » و « هيرسيجوفينا » تحت السيطرة الاسمية للامبراطورية النمساوية — المنغارية فوقعتا تحت سطوة « البكوات » الذين منحوا امتيازات كبيرة حرمت على كثير من سكان « بوسنة » المحليين ، وسرعان ما تضاءلت هذه الامتيازات بعد عام ١٩١٢ عندما انفصلت ولايات البلقان عن الحكم العثماني وشكلت هذه الولايات في عام ١٩١٧ ما يعرف اليوم



تشتهر جمهورية « بوسنة » بيوغسلافيا بنوعية السجاد الفاخر الذي تصنعه وهي حرفة تعلمها السكان من العثمانيين في القرن الخامس عشر .

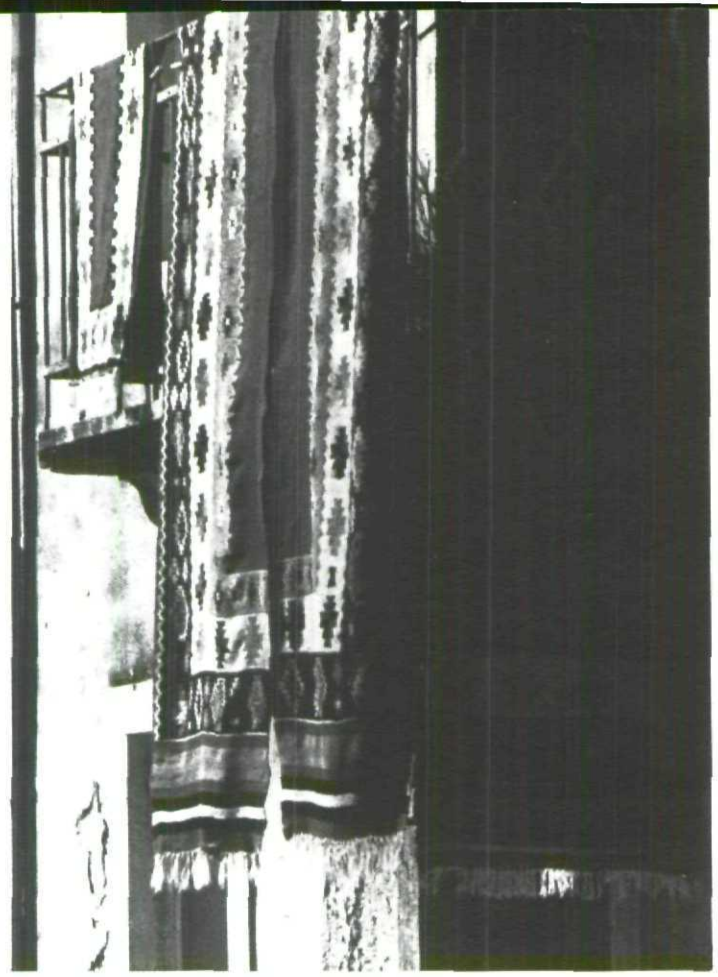


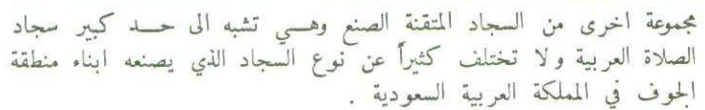
قبة الجامع الأثري في مدينة « بوستبلج » ويرجع تاريخ بنائها الى القرن السادس عشر وقد ظهرت بالقرب منها قبتان أصغر حجماً تغطيان صحن الجامع .

الجسر المقنطر في مدينة «موستار» يعد من أروع الاثار الاسلامية في يوغسلافيا ايام العصر العثماني ويبلغ عمر هذا الجسر اكثر من اربعمائة عام . ويبدو في الأفق البعيد عدد من المآذن واحدى القباب وتكثر في المدينة الجوامع التاريخية وكلها ترجع الى القرن السادس عشر .



الجزء الـذي يعلو قبـة المسجد وهو مصنوع من البرونز ويرمز الى العصر العثماني في يوغسلافيا خلال القرن السادس عشر الميلادي .





مجموعة اخرى من السجاد المتقنة الصنع وهـي تشبه الى حـد كبير سجاد الصلاة العربية ولا تختلف كثيراً عن نوع السجاد الذي يصنعه ابناء منطقة الجوف في المملكة العربية السعودية .

بجمهورية يوغسلافيا . وفي خضم الأحداث التي نجمت بعد الاستقلال واجه المسلمون الكثير من الاضطهاد وحرموا من فرص العمل مما اضطرهم في بعض الأحيان الى الادعاء بانهم صربيون او كرواتيون فقط .

ان معظم مسلمي جمهورية « بوسنة » يصرون على اسلامهم واحتفاظهم كذلك بوطنيتهم السلافية . وعلى الرغم من ان سكان جمهورية بوسنة المسلمين يشكلون ثلث السكان فقط ، الا انهم فرضوا طابعهم المميز ، واعطوا جمهوريتهم عمقها وتقاليدها ولونها الاسلامي . وعندما يصف اي يوغسلافي شيئاً بانه من «بوسنة» فانما يقصد انه مسلم وله تراثه الاسلامي .

والمسلمون اليوم هناك يتمتعون بنفس الحقوق والامتيازات الممنوحة للآخرين واصبحوا متساوين في الحقوق والواجبات امام الدولة كغيرهم من المواطنين من الديانات الأخرى فمنهم ، الوزراء ورؤساء مجالس النواب ورؤساء حكومات . كما ان الفائز بجائزة السلام السيد « ميسا سيليموفيك » هو أحد المسلمين . وكذلك الفنان المرموق « مرساد بربر » الذي تدين اعماله المشهورة في النحت على الخشب والمطعمة بالنقوش الجميلة ، تدين بشهرتها وذيوعها الى العصر الذهبي الماضي .

ان التأثير الاسلامي في المنطقة يفوق كثيراً النسبة العددية للمسلمين هناك . يقول السيد « آفوهيومو » وهو أحد رجال الدولة البارزين « اننا لا نحافظ على الحضارة الاسلامية الماضية ونتعهدها بالرعاية فحسب بل غدت تمثل عنصراً حياً في حياة والهام الأجيال الجديدة »، وقد تجلى هذا الخيال في أروع مظاهره في مدينة « ساراجيفو » حيث شيدت المساجد والمدارس والحمامات والخانات والجسور كتلك التي في « فسيجراد » والتي اقيمت في عام ١٥٧٧/١٥٧١ من تصميم المهندس المعماري التركي «كودز ميمارسنان » والتي قام بتخليدها « آفو اندريك » الفائز بجائزة نوبل في كتابه الذائع الصيت « جسر فوق درينا » . ويرتفع هذا الجسر المقنطر احد عشر متراً اما طوله فيصل الى ١٨٠ متراً وهو تعبير صادق للمقدرة المبدعة والمهارة الهندسية الاسلامية التي قامت في تلك الاصقاع .

كما ان هناك جسراً آخر بلغ شهرة كبيرة ذلك هو جسر « ستاري موست » الواقع في مدينة « مستار » التي تقع بدورها جنوب غربي « ساراجيفو »، وهذا الجسر من تصميم اكثر تلامذة « سنان » شهرة ويدعى « هجر الدين » الصغير الذي تروى عنه القصة التالية : عندما انتدب هجر الدين لبناء الجسر فشلت مساعيه الأولى وسقط الجسر المقنطر فوق مياه نهر « نيرتيفا » وقد اثار هذا الفشل السلطان واعلن ان محاولة اخرى فاشلة ستكلف « هجر الدين » حياته . ونظراً لعدم تحديد فترة زمنية معينة للانتهاء من عمل الجسر فقد عمل ببطء محاولاً الاطالة من عمره هو ، ولكن بناء الجسر انتهى اخيراً في عام ١٥٦٦ . وعندما رفعت الدعائم التي كانت قائمة تحت الجسر وبقي الجسر مكانه ثابتاً لم يحدث له انهيار او سقوط عندها سارع مساعدوه في البحث عنه ليخبروه بذلك . وبعد لأي عثروا عليه يبكي بعد ان حفر قبره بيده انتظاراً لتنفيذ الحكم الذي كان يتوقعه وقد ظل هذا الجسر الذي يعد تحفة معمارية قائماً منذ اربعمائة عام وحتى اليوم .

ومدينة « موستار » نفسها غنية أيضاً بالآثار الاسلامية ، فبالقرب من الجسر يقوم بيت صغير للقهوة يدعونه « كافانا » تزدان جدرانه بالسجاجيد وقد صفت المناضد المنخفضة على الطراز العربي حول جوانب الغرفة . وفي احدى الزوايا يقف الرجال بطرابيشهم الداكنة اللون يصبون القهوة التركية من أحد اباريق القهوة النحاسية التقليدية . وفي السوق يستطيع الزائر ان يراقب الصناع المهرة وهم يضربون الواح النحاس ويصنعون منها الصواني ويزخرفون الأحزمة المحفورة بالنقوش النحاسية التي تلقى رواجاً كبيراً في بغداد . فاذا ما سار في الطرقات الملتوية الضيقة فانه يرى احد المقاهي المكشوفة تقدم اللحم الملفوف بورق العنب وهي من الاكلات الشرقية المعروفة . واذا ما تابع سيره فانه سيرى جامع « كرادجوز بك » الذي تطل مئذنته الشاهقة على وادي « نيرتفا » الأخضر الجميل .

وعلى مسافة بضعة أميال الى الجنوب من سلسلة جبال « برنجي » وبالقرب من المنطقة الساحلية في « دالماتيان » توجد قلعة « بوستيلجي » وهي قلعة تركية يرجع تاريخها الى القرن الخامس عشر ويجري الآن ترميمها . هذا وبامكان الزائرين للمنطقة قضاء ليلة في البيوت الاسلامية التي أعيد بناؤها والتي ترقد على أحد جوانب سفح تلة تطل على الوادي الذي يخترقه النهر وتطل من فوق ابراج القرية مئذنة شامخة لأحد المساجد الذي يرجع تاريخ بنائه الى القرن السادس عشر . وفوق قمة التل يرى الناظر بقايا اثار قلعة تركية تقف صامتة تمنح الناظر مجالاً واسعاً للرؤيا .

وفي مدينة « سارجيفو » يختلط الحديث بالقديم حيث تقوم الأبنية الحديثة الشاهقة والصناعات الجديدة جنباً الى جنب مع الحوانيت القديمة والسوق التجاري القديم الذي ما زال نشطاً بتجاره الذين يدفعون امامهم العربات المليئة بمختلف الحاجيات كما هو الحال في بعض الأسواق العربية . حتى الأسعار الثابتة التي هي من وضع السلطات المسؤولة قابلة للأخذ والعطاء في هذا السوق الذي تسير فيه التجارة بحرية تخضع لوجهة نظر التاجر نفسه.

تحتضن مدينة « سارجيفو » اكثر من ثمانين جامعاً شامخة مآذنها في الأفق وتظل مرتفعة فوق الأبنية المجاورة ومن بين هذه المساجد جامع « غازي يوسف بك » الذي يعتبر اكبر جامع في جميع أنحاء يوغسلافيا وقد بناه المهندس المعماري التركي « سنان » عام ١٥٣٠ . كما تضم المدينة مدرسة « كورسملي » وهي مدرسة داخلية ، وبيت « زارزو » وهو مثال لبيوت السكن التركية التي تجمع بين فن العمارة والاناقة ، التي كانت سائدة في القرن السابع عشر . ويزدان هذا البيت الذي كان ملكاً لأحد التجار الأتراك بالنوافذ الخشبية المطعمة بالنقوش البديعة التي كانت سائدة في ذلك العصر وكانت هذه النوافذ مظللة بقناطر خشبية مزركشة لا تقل عنها روعة وبهاء ، وتطل على حديقة غناء وساحة واسعة ونافورة للمياه . هذا البيت الأنيق يعكس بكل وضوح جمال طرز الأبنية الاسلامية التي كانت سائدة في ذلك العصر .

وفي الصرب ، تسير الآثار الاسلامية على نفس النمط ، وتتبع الى حد ما نفس طرق التجارة التي كانت تتجه من الغرب الى الشرق . وفي مدينة « بريستنيا » عاصمة منطقة « كوسوفو » التي كانت في يوم ما المركز الرئيسي للباشا التركي وبها نسبة اسلامية لا بأس بها . وتفخر المدينة بوجود جامع محمد الفاتح الذي يعود تاريخه الى عام ١٤٦١ ويعتبر الجامع اجمل واروع مبنى اسلامي في يوغسلافيا وقد بناه السلطان محمد الثاني تخليداً لذكرى سلفه السلطان مراد .

وفي الاتجاه الجنوبي الغربي توجد مدينة « برزرين » حيث يوجد جامع محمد باشا ويرجع تاريخه الى عام ١٥٦١ ، وقد نقش على مدخله لوحة كتب عليها : « في مدينة برزرين حول هذا الجامع الجميل الى روضة » . وفي صحن الجامع يوجد مبنى حجري يحتوي على مختارات من المخطوطات العربية والتركية تزيد على الفي مخطوطة منها واحدة يرجع تاريخها الى عام ١٣٢١ .



عدد من أسياخ الكباب جاهزة للشي وتشتهر يوغسلافيا بعدد من الوجبات الشرقية المشهورة مثل ورق العنب المحشو باللحم .

هذا ويمكن مشاهدة العديد من اروع الأبنية الاسلامية في مدينة « سكوبجي » عاصمة جمهورية مقدونيا . ومن اروع ما يوجد في هذه المدينة حمامات داوود باشا التي يرجع تاريخها الى عام ١٤٨٤ ، وقد كانت هذه الحمامات حديث اوربا كلها في ذلك الحين . وتستوعب هذه الحمامات التي تمتاز بالزخارف العربية وعناقيد الجص المتدلاة من سقوفها ونوافيرها ، مائة شخص في آن وكانت مخصصة للرجال والنساء بينهما جدار ضخم .

وكان لهذه الحمامات شأن كبير عند المسلمين اذ كانت تهيء لهم الوضوء للصلاة . وفي مدينة « بوسنة » وحدها كان هناك أكثر من خمسين حماماً في الوقت الذي كانت اوربا تفتقر فيه الى مثل هذه الحمامات العامة .

هناك بناية أخرى ذات شأن في مدينة « سكوبجي » وهي الخان ، او النزل ، وقد امر ببنائه مستشار السلطان سليم الثاني في عام ١٥٥٠ واسمه «مولانا مصلح الدين» . و يشتمل الخان على ساحتين داخليتين وبه شرفتان واسعتان ويضم عدداً من الغرف المربعة الواسعة ذات السقوف المقنطرة ونافورة للمياه . والخان مبني على الطراز الاسلامي ويعتبر واحداً من اروع الأمثلة على الفن المعماري في اوج عصر الامبراطورية العثمانية .

وبعد ، فتلك هي المظاهر الاسلامية الملموسة التي تركها الأتراك بعد فتوحاتهم لتلك الأصقاع التي تراها العين ، لكن الأمور الأكثر اهمية غير الملموسة هي تلك الروح الاسلامية السامية التي انصهرت مع التراث والحضارة لتلك البلاد. ورغم ان التراث الاسلامي غير ظاهر كتأثير اسلامي في الجوهر الا انه مع ذلك قد هذب روح السلافيين بنفس الطريقة التي هذب بها روح العالم المعروف وامده بالتعاليم الطاهرة والقيم الروحية السامية التي هي من تعاليم الاسلام ■

يعقوب سلام - هيئة التحرير



الوجه الخلفي للقمر

وتحليل تركيب سطحه وداخله

بقلم: الأستاذ نقولا شاهين

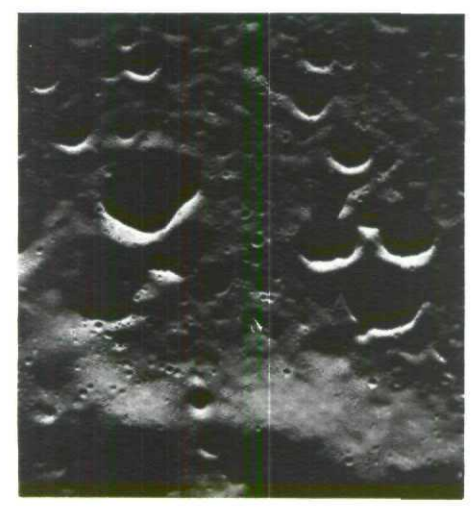
حظي القمر بقسط وافر من اهتمام الناس ، وكان شغفهم به مدعاة لدرس ما يحدث فيه من تطورات ، فهو يبدو هلالاً في بادىء الأمر ، ثم يزداد قسمه النيّر الى ان يصبح بدراً ، وبعدها يتناقص القسم النيّر تدريجياً الى ان يصبح محاقاً . وتتم هذه الظاهرة بصورة دورية نظامية تمكن الأقدمون من معرفة مدتها بدقة تامة . فالقمر ، كما هو معروف علمياً يدور حول الأرض وحول نفسه في مدة ٢٧ يوماً وثلث اليوم تقريباً ويقال لهذه المدة الشهر النجمي . في أثناء هذه المدة يتجه القمر شرقاً نحو ١٣ درجة كل يوم حتى يتم دورة كاملة بين النجوم ، ويعود الى الموضع الذي بدأ منه دورانه .

أما الشهر الفلكي فهو المدة بين وقت ظهور الهلال الفلكي والذي يليه ، وفي هذه المدة يلحق القمر بالشمس ويجتازها ، فتكاد تكون قانونية ومتساوية . وبما ان اوجهه تتوقف على مركزه الظاهر بالنسبة الى الشمس ، فان المدة بين الهلال الفلكي والذي يليه هي الشهر القانوني ، ومعدله نحو ٢٩ يوماً و ١٢ ساعة و ٤٤ دقيقة و ٣ ثوان ، ومقدار تقلبه نحو ١٣ ساعة وذلك بالنسبة الى مباينة فلك القمر .

كان الانسان يتمتع بتطورات منظر القمر منذ وجوده على سطح الأرض ، وتمكن من معرفة الكثير عن طبيعة ذلك الجسم الذي يعمل كمرآة تعكس نور الشمس وحرارتها الى الأرض ليلاً ، فيتحول الليل الى نهار ويهتدي بنوره المسافرون . وقد تغنى الشعراء بالقمر وبجماله وبهائه ، ومن بين هؤلاء الشعراء ابن المعتز الذي يقول :

وانظر اليه كزورق من فضة
قد أثقلته حمولة من عنبر

ان اول صورة ضوئية التقطت للقمر كانت في عام ١٨٥٠ على يد احد الأميركيين ، ثم تلا ذلك التقاط عدد من الصور في انكلترا واميركا وبلدان اخرى ، ظهرت فيها معالم القمر واضحة ومفصلة على نمط ما يحدث بالمرقب . وهكذا ازدادت معرفة الانسان بسطح القمر وبما يتخلله من فوهات وجبال وأودية وسهول ، فتمكن من قياس الابعاد والارتفاعات والانخفاضات وعدد الفوهات المنتشرة في مناطق مختلفة على سطحه ، وقد تم ذلك بشكل دقيق للغاية ساعد العلماء في تحقيق مهمة هبوط الانسان التاريخية على سطحه في عام ١٩٦٩ . أما رؤية الوجه الخلفي للقمر فقد ظلت محتجبة عن عيني الانسان فيما عدا جزء بسيط من



صورة خلفية مقربة للقمر التقطها رواد « ابوللو — ٨ » .

ذلك الوجه بسبب ما نسميه اضطرابات القمر . ولما كان القمر معرضاً لجذب الأرض له ، فقد أصبح شكله اقرب الى شكل برتقالة منه الى شكل كرة ، وهو يتمايل من جهة الى أخرى كرقاص الساعة . هذه الحركة تمكننا من رؤية نحو ٦٠ بالمئة من سطحه في أفضل الأحوال الجوية .

السوفييت يلتقطون أول صورة لوجه القمر الخلفي

ظلت رؤية الوجه الخلفي للقمر منحجبة عن سكان الأرض حتى الرابع من اكتوبر عام ١٩٥٩ . ففي ذلك اليوم التاريخي ، أطلق السوفييت ثالث صاروخ الى اجواء الكواكب السيارة . وكانت المرحلة الأخيرة من هذا الصاروخ تحتوي على آلتي تصوير تعملان تلقائياً ، وكانت احداهما تحتوي على عدسة ذات محرق يبلغ طوله ٢٠ سنتيمترا والثانية على عدسة ذات محرق يبلغ طوله ٥٠ سنتيمتراً ، وكان محورا العدستين متوازيين . وبالاضافة الى آلتي التصوير كان هناك جهاز للتوجيه وأجهزة للقيادة والتركيز واجهزة الكترونية وضوئية ، تعمل معاً لتضمن اتجاه هاتين الآلتين نحو القمر عند التقاط الصور .

وفي ١٧ اكتوبر من ذلك العام ، كانت آلتا التصوير على بعد ٦٥٠٠٠ كيلومتر من القمر ، وعلى مقربة من الخط الذي يجمع بين الشمس والقمر ، وكان عمر القمر كما يشاهد من الأرض اربعة ايام وستة اعشار اليوم ، وفي تلك اللحظة كانت المركبة — « لونيك — ٣ » جنوبي القمر فرفعتها جاذبية القمر نحو الشمال والى وراء القمر ، كما كان مخططاً لها . وكان

الغرض من هذا التخطيط هو تأهيل المركبة « لونيك » ، عندما تعود الى الأرض ، لتكون على أقرب بعد من نصف الكرة الشمالية ، لتتمكن المحطات الراديوية السوفيتية من الاتصال بها على أحسن وجه .

هنا بدأت اروع عملية من حيث الاتصال الفضائي الكترونياً مع عربة غير مأهولة ، فاعتبر ذلك أعظم انجاز هندسي تم تحقيقه بفضل أجهزة صممت بدقة فائقة . فعندما اقتربت المركبة من الخط الذي يجمع الشمس بالقمر على الوجه الخلفي ، انطلقت اشارة الكترونية من الأرض ، فبدأت الاليات التلقائية



ملاحو « ابوللو — ١١ » يدرسون صخرة قمرية حملوها معهم من القمر بعد الهبوط التاريخي على سطحه في ٢١ يوليه ١٩٦٩

تعمل على تنفيذ ما يطلب منها . وكانت المركبة الفضائية ذلك الوقت، تدور حول نفسها وذلك لتأمين الارتكاز ، حيث كان احد طرفيها متجهاً نحو الشمس ، وهنا كان لا بد لجهاز التوجيه من ايقاف المركبة عن دورانها هذا وذلك عن طريق دفع نفثات من الغاز عبر خراطيم . وعندما أشارت الأجهزة البصرية المنطلقة من نوافذ المركبة في القسم المتجه نحو الشمس ، بوجوب توجيه ذلك القسم مباشرة نحو الشمس ، وأصبح الطرف الآخر للمركبة الفضائية متجهاً تقريباً نحو القمر فاسدل الستار على جهاز التصوير الضوئي الأول بينما بدأ الجهاز الضوئي الثاني يعمل على تركيز محور العربة « لونيك » على سطح القمر وتثبيته حيث تعمل احدهما على تكبير حجم القمر بمقدار ضعفين ونصف ضعف المرة . وعندما ارسلت اشارة من الأرض ، بدأت آلتا التصوير بالتقاط صور للوجه الخلفي للقمر على فيلم من مقاس ٣٥ مليمتراً ، وكان هذا الفيلم قد حفظ من التغشية الناجمة عن الأشعة الكونية . وعند تصوير الفيلم بكامله ادخل الى جهاز التحميض والتثبيت الذي كان قد أعد ليعمل في حالات انعدام الوزن بصورة جيدة . وعندما جف الفيلم جرى نقله الى صندوق خاص في انتظار بث محتوياته الى الأرض . وقد تم معظم هذه العملية تلقائياً ، لكن ثمة علامات كانت على الفيلم المتحرك ، قد أدت الى بث اشارات راديوية الى الارض مكنت العلماء وهم على مسافة نحو ٤٠٠٠٠٠ كلم من التحكم في التقاط الصور وتظهيرها على الجانب الخلفي من القمر .

وبعد عرض الفيلم بكامله ، بدأت المركبة الفضائية تدور حول نفسها بفضل جهاز يعمل تلقائياً وذلك حتى لا يكون جانب من المركبة معرضاً لأشعة الشمس اللافحة ويبقى الجانب الاخر مجمداً ، فيختل عمل الجهاز في داخلها . وبعد دورانها حول القمر ، انطلقت المركبة عائدة الى الأرض وبدأت تبث الصور بواسطة جهاز بطيء عندما كانت بعيدة عن الأرض ، وبجهاز اسرع عندما اقتربت منها ، وهذا ما جعل وصول الاشارات الراديوية الى الأرض يتم بصورة سريعة . غير ان عملية البث هذه تمت بواسطة الة تصوير تلفزيونية قامت بمسح الصورة الكترونياً خطاً خطاً ، محولة بذلك درجات لمعانها المتغيرة الى اشارات راديوية ، وكان عدد هذه الخطوط يتغير ليعطي درجات مختلفة في الوضوح . وبلغ عدد الخطوط لكل صورة الف خط . وهذا يعطي وضوحاً يعادل ضعف صورة التلفزيون العادية .

هذا وقد أشاد الخبراء بجودة نوعية الصور التي التقطتها المركبة الفضائية السوفيتية لوجه القمر الخلفي بالرغم مما تخللها من بعض الغموض والابهام . كما انهم اعجبوا بالطريقة التي اتبعت في التقاطها وبثها الى الأرض . وقد كانت الصور على جانب كبير من الوضوح فيما يتعلق بطبيعة وجه القمر الخلفي . ومن خلال دراسة هذه الصور ، تبين للعلماء ان البحار الكبيرة القائمة على وجه القمر الخلفي قليلة بالنسبة للبحار الموجودة على الوجه المنير والمتجه نحونا دائماً كما تبين لهم ان المنطقة التي تم تصويرها تحتوي على بحر واحد كبير اطلق عليه السوفيت اسم « بحر الاحلام » ، وعلى بحر أصغر منه اطلقوا عليه اسم « بحر موسكو » . اما الفوهات البركانية العديدة فقد اطلق عليها اسماء لعدد من الأبطال والعلماء السوفيت .

ويغطي السطح الخلفي من القمر جبال تبدو أشد اشراقاً من البحار ، ومن هذه الجبال سلسلة جبال بارزة اطلق عليها اسم « سلسلة السوفيت » ، اما ما تبقى من معالم السطح فعبارة عن شبكة من الفوهات البركانية . وقد التقطت الصور عندما كان القمر بدراً بالنسبة الى العربة الفضائية اي عندما كانت الشمس فوق الرأس ، ولم يكن باستطاعة اعظم المنحدرات ان تلقي ظلاً على مركز القمر ، لذلك كان تصويرها امراً صعباً وربما يتم ذلك في المستقبل .

الأمريكيون يستعدون للدوران حول القمر

لم يتحمس الاميركيون للدوران حول القمر وتصوير معالمه الا عندما دارت المركبة الروسية



صخرة قمرية جلبها رواد الفضاء من على سطح القمر يوم نزولهم عليه في ٢١ يوليه ١٩٦٩ .

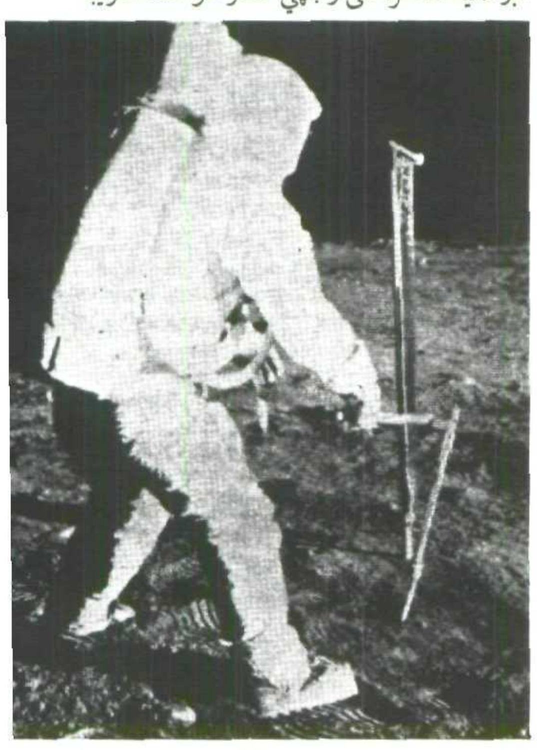
« لونا ــ ١٠ » حوله في شهر أبريل عام ١٩٦٦ ، فسجلت بذلك نصراً علمياً مثيراً . ويبدو ان هذه المركبة كانت تفتقر الى بعض الات التصوير فقرر الأميركيون ان يحرزوا قصب السبق باطلاق خمسة اقمار مدارية من نوع « اوربيتر » بالتتابع لتلتقط صوراً لوجهي القمر ، فاطلقوا واحداً منها في شهر اغسطس عام ١٩٦٦ . وكانت المهمة الرئيسية لهذا القمر المداري ان يلتقط ٣٥٠ صورة متوسطة شديدة الوضوح ، لتسعة مواقع تصلح لهبوط رجال الفضاء عليها ، وان يلقي نظرة على المركبة الفضائية « سرفايور الأولى » التي كانت تربض صامتة على اوقيانوس العواصف ، بعد ان بثت اكثر من ١١٠٠٠ صورة لمعالم سطح القمر عن مدى قريب ، وفيما يلي بعض التفاصيل التي رافقت عملية الاطلاق الأمريكية والوصول الى القمر .

رفع القمر المداري « اوربيتر » الى مدار اولي حيث بقي مدة ٢٨ دقيقة ، بينما كانت الحاسبات الالكترونية الأرضية تدقق في مساره التالي. ولما بلغ القمر الاصطناعي فوق المحيط الهندي، بدأت المرحلة الثانية من الصاروخ الحامل للقمر المداري ، ودفعته الى مساره نحو القمر بالدقة المطلوبة . عندها انطلق هوائيان واربعة الواح شمسية ، فأصبح شكله كدولاب الهواء ، بينما اتجهت سوابر الارشاد نحو الشمس وبعد ست ساعات باشر جهاز تتبع مسار النجوم البحث عن النجم سهيل (Canopus) ، ولما فشل هذا الجهاز في تعيين مركز هذا النجم لجأ المراقبون على الأرض الى توجيه المركبة الفضائية « اوربيتر » عن طريق القمر .

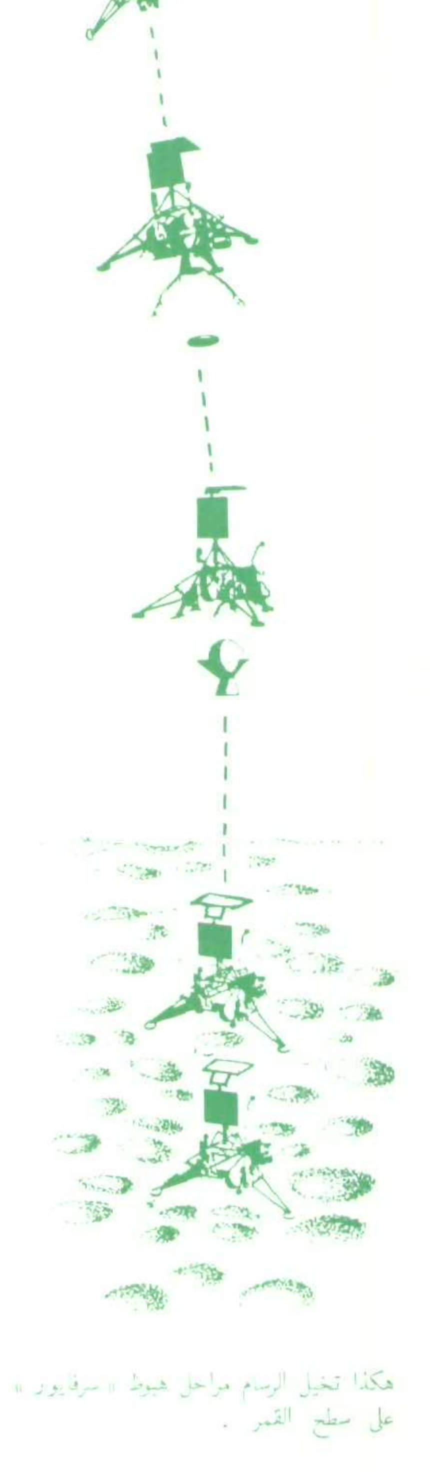
كان من المنتظر ان تصل المركبة « اوربيتر » هذه في ظرف ثلاثة أيام ، الى نقطة حرجة تبعد نحو ٨٨٠ كيلومتراً من القمر ، وان يشتعل عندها صاروخه العكسي مدة تسع دقائق ونصف الدقيقة ، فتهبط سرعته من ٩٦٠٠ الى ٣٢٠٠ كيلومتر في الساعة ، لكي يتسنى لجاذبية القمر ان تضعه في مدار قمري اهليلجي ، يتراوح ارتفاعه بين ١٩٠ و ١٨٤٠ كيلومتراً . وفي حال سير الأمور على مجراها الطبيعي ، يراقب « اوربيتر » مدة ثلاثة او سبعة أيام ، لمعرفة أي تغيير قد يطرأ على جاذبية القمر ، وفي الوقت نفسه تبدأ أجهزة المركبة « اوربيتر » ببث صور لناحية معينة من القمر لم يجر تصويرها من قبل ، وهي تقع الى يمين القمر .

وبعد تعيين المدار المطلوب يحدث انفجار من محرك داخل المركبة « اوربيتر » تبلغ قوة دفعه ٤٥ كيلوغراماً . ليمكن المركبة من الهبوط في نقطة تبعد نحو ٤٥ كيلومتراً عن سطح القمر ثم تندفع المركبة في دورانها حول القمر بسرعة ٧٢٠٠ كيلومتر في الساعة ، لتلتقط الصور أثناء اقترابها من القمر مدة اسبوع . وتستغرق هذه الرحلة ٣٥ يوماً منذ يوم الانطلاق حتى الانتهاء من عملية التصوير وبثه الى الأرض ثم تقوم المركبة « اوربيتر » في الوقت نفسه بقياس الاشعاع والنيازك دون المجهرية ، كعمليات استكشاف قبل انطلاق رجال الفضاء نحو القمر . وقد تمكنت « اوربيتر » من التقاط صورة لوجه القمر الخلفي من علو نحو ١٥٠٠ كيلومتر .

بعد هذه العملية ، أطلقت الولايات المتحدة المركبات الفضائية « اوربيتر ٢ و ٣و٤ و ٥» ، وتمكنت المركبة « اوربيتر ــ ٤ » من تخطيط ٦٠ بالمئة من وجه القمر الخلفي ، وجاء هذا ينقض ما كان شائعاً بين الأوساط العلمية بأن هذا الوجه يحتوي على عدد من الفوهات البركانية يفوق العدد الموجود على الوجـــه المرئي . وقد تبين من خلال عملية التخطيط التي قامت بها المركبة « اوربيتر ــ ٥ » ان عدد الفوهات البركانية المنتشرة على وجهي القمر هو نفسه تقريباً



يقوم هذا الملاح الفضائي بأخذ عينة من تربة جوف بعد ان انتهى من تركيب جهاز الاختبار للريح الشمسية .



هكذا تخيل الرسام مراحل هبوط « سرفايور » على سطح القمر .

الا ان الفوهات البركانية المنتشرة على الوجه الخلفي للقمر تظهر حديثة ومتفوقة بالعدد ، لأن هذا الوجه لم يتعرض لسيول من المواد البركانية الحديثة ، كما هي الحال على الوجه المرئي للقمر .

ولا بد هنا من الاشارة الى ان المركبة « اوربيتر » كانت مجهزة بحجرة معتمة ، وكانت الصور التي تلتقطها العدسات ، تركز على شريط حساس يمر فوق اسطوانة خاصة ويتعرض لضغط من قماش يحتوي على مواد كيميائية للتظهير ، وبعد تجفيفه كان الشريط الحامل للصورة يمسح الكترونياً . ولما كانت كل قطعة من هذا الشريط الحساس منقسمة الكترونياً الى ١٧٠٠٠ خط أفقي ، فقد امكن بث معلومات وافية عن سطح القمر الى الأرض بسهولـــة وذلك لاعـــادة تركيب الصورة بتفاصيلها الكاملة .

لم يكتف علماء الفضاء الأمريكيون باطلاق اقمار اصطناعية غير مأهولة لالتقاط صور للقمر ، بل أطلقوا ايضاً المركبة « ابوللو — ٨ » في عام ١٩٦٨ ، تحمل ثلاثة من رجال الفضاء ، فالتقطوا صوراً عديدة لوجهي القمر تمهيداً لنزول الانسان على سطحه ، وكان ذلك من ارتفاع نحو ١١٢ كيلومتراً . وكانت تلك هي المرة الأولى التي جيء بها الى الأرض بشريط يحتوي على صور اخذت للقمر من هذه المسافة ، اذ ان جميع عمليات التصوير التي تمت من نقطة قريبة للقمر ، جرت بواسطة مركبات آلية غير مأهولة ، كما ان عملية بث الصور الى الأرض تمت بواسطة اجهزة تلفزيونية .

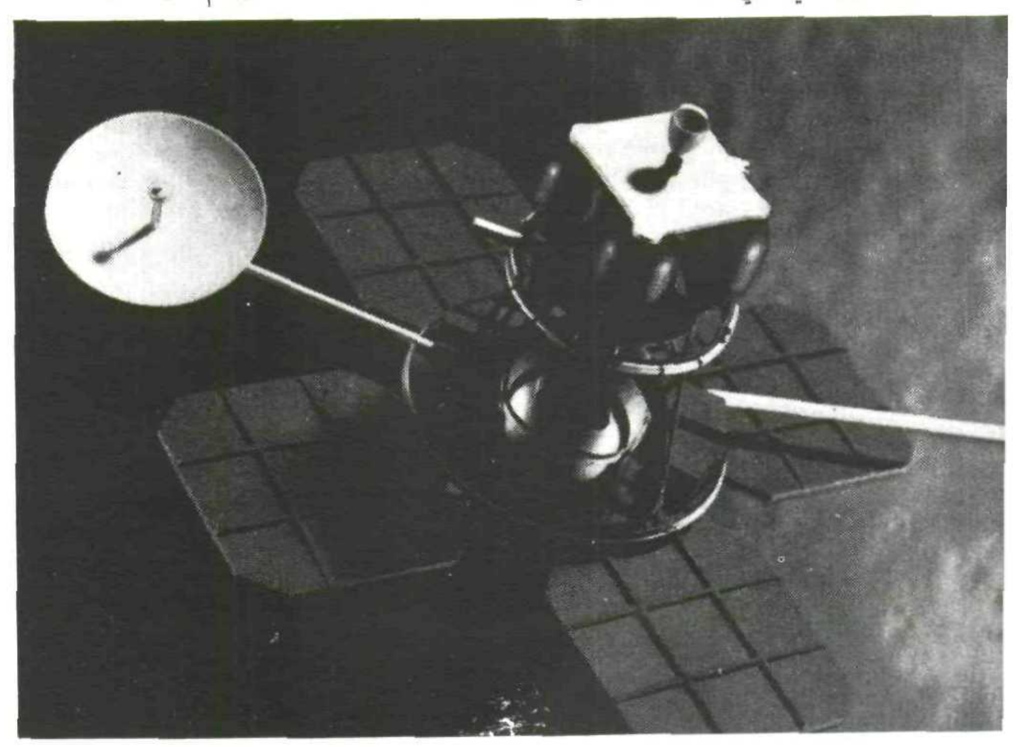
ومن ناحية اخرى ، فقد تمكن عدد من مركبات « ابوللو » الفضائية من التقاط صور عديدة لوجه القمر الخلفي ، منها « ابوللو — ١٠ » و « ابوللو — ١١ » و « ابوللو — ١٥ » و « ابوللو ١٧ » ، وقد تضمنت هذه الصور تفاصيل واضحة لتركيب ذلك الوجه من القمر الذي ظل محتجباً عن الأرض منذ وجودها اي منذ نحو ٤٥٠٠ مليون سنة .

مركبات « سرفايور » تحلل تربة سطح القمر فيزيائياً

لا شك ان دوران الأقمار الاصطناعية ، كان من اروع الانجازات العلمية وابرزها في حقل الفضاء ، لكن هناك انتصاراً علمياً رائعاً تحقق في هذا المجال وهو ظهور مركبات تستطيع الهبوط على سطح القمر برفق ، لتحلل تركيب تربته فيزيائياً وكيميائياً وتبث نتائج هذا التحليل الى الأرض ، ثم لتلتقط صوراً لسطح القمر من مسافات قصيرة يستعين بها رجال الفضاء عند هبوطهم عليه . وقد اطلقت المركبة الفضائية « سرفايور — ١ » في ٣١ مايو عام ١٩٦٦ وهبطت برفق على سطح القمر في الثاني من شهر يونيو من العام نفسه . وعند اقترابها من القمر ، صدرت اليها الأوامر من الأرض لكي تمد قوائمها في اتجاه سطح القمر ، فاشعلت صواريخها العكسية لتخفض سرعتها ، ولما كانت آلات التصوير التلفزيونية التابعة لها تلتقط صوراً ، كانت المركبة تتجه نحو القمر بسرعة ١٣ كيلومتراً في الساعة . وبالرغم من انخفاض درجة الحرارة الى ١٥٧ درجة مئوية تحت الصفر اثناء الليل القمري ، فقد تمكنت المركبة عندما أشرقت الشمس ، من الاتصال بمركز المراقبة على الأرض . وقد توقفت عن البث بعد ان ارسلت ١٠٠٠٠ صورة اثناء النهار الأول القمري ، واكثر من ١٢٠٠٠ في النهار الثاني . والنهار القمري يعادل نحو ١٤ يوماً من أيام الأرض .

لقد هبطت المركبة « سرفايور — ١ » على بعد ١٠٠٠ كيلومتر من البقعة التي هبطت عليها المركبة « لونا — ٩ » السوفيتية ، وذلك في شهر فبراير ١٩٦٦ . وبالرغم من قصر المسافة بين المركزين ، فقد تبين ان هناك فرقاً بارزاً بين المشهدين . فقد ظهر من الصور التي ارسلتها المركبة « لونا — ٩ » ان الأرض هناك مسامية تغطيها طبقة من الحجارة وتكثر فيها الفوهات . أما الصور التي ارسلتها المركبة « سرفايور » ، فقد اظهرت ان البقعة هناك تبدو كأنها حرثت حديثاً وتتخللها بعض الصخور والحصى كما بدت دوائر عند أسفل القوائم بلغ عمقها نحو ثلاثة سنتيمترات ، فاستخلص العلماء من هذه الظاهرة ان ارض القمر صالحة لهبوط رواد فضاء عليها .

ولما كان التدقيق في معرفة طبيعة سطح القمر أمراً حيوياً ، اطلقت الولايات المتحدة المركبة « سرفايور — ٣ » التي هبطت على سطح القمر في شهر أبريل عام ١٩٦٧ ، والتقطت صوراً عديدة ملونة عبر « مرشحات — Filters » حمراء وخضراء وزرقاء بواسطة آلة تصوير عادية ، ومن خلال عملية اعادة تركيب هذه الصور على الأرض لمعرفة كيفية ظهور الألوان على سطح القمر ، تبدّى للعلماء هلال يميل لونه بين الأزرق والأخضر منقط بالغيوم ، هو منظر الأرض نفسه الذي بدا للمركبة « سرفايور » في جو القمر المظلم .



المركبة « لونا » تحمل هوائيات ولوحات شمسية مجنحة وقد دارت حول القمر والتقطت صوراً لوجهيه .

تابعت المركبة « سرفايور — ٣ » مهمة ارسالها العديد من الصور المتعلقة بحرارة القمر وبعض الأرصاد الفلكية كما كشفت عن وجود صخر مغطى بتراب القمر ، كذلك تمكنت بواسطة مخلبها الذي يمتد نحو المتر ونصف المتر ، من حفر خندق وتصوير خنادق اخرى تثبت ان منطقة بحر العواصف الممتدة على سطح القمر جافة ، ولها القدرة على التلاصق كالرمل الرطب . ومن اغرب الانجازات التي قامت بها المركبة « سرفايور — ٣ » ، هو ان الأرض المحيطة بها تستطيع ان تحمل ضغطاً معدله نحو نصف كيلوغرام على السنتيمتر المربع ، وهذا الضغط كاف لتمكين رجال الفضاء من الهبوط على سطح القمر .

لقد سجلت هذه المركبة فتحاً علمياً مرموقاً في عصر الفضاء ، اذ انها التقطت ٢٠ صورة لظاهرة كسوف الشمس لم يشاهد الانسان لها مثيلاً ، اذ انه بدلاً من ان تنحجب الشمس بسبب القمر كما هي الحال في الكسوف الذي يحصل على الأرض ، كانت الشمس محتجبة وراء الأرض موقتاً . وفي غضون ساعتين من وجود المركبة « سرفايور — ٣ » في الظل ، هبطت حرارة القمر من ١٢٠ درجة مئوية فوق الصفر الى ١٠٠ درجة مئوية تحت الصفر . هذا ، وهناك امور علمية عديدة اخرى قامت بها هذه المركبة في مجال الفضاء .

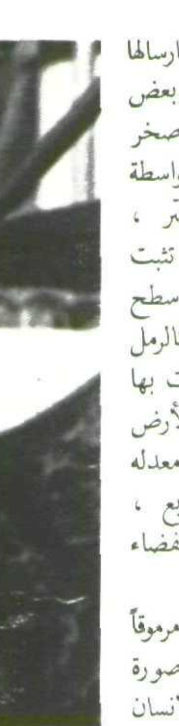
مختبر كيميائي على سطح القمر

بعد نجاح مهمة المركبة الفضائية « سرفايور —٣»، تمكن العلماء الأميركيون من اطلاق المركبة « سرفايور — ٥ » كمختبر لتحليل تركيب تربة القمر ومعرفة المواد التي تتألف منها . وكانت هذه المركبة تحمل علبة وزنها نحو ثلاثة كيلوغرامات ، وهي مطلية بطبقة من الذهب . وبدأت الرحلة التي استغرقت ٦٥ ساعة بصورة جيدة ، وكانت عملية الاطلاق من الدقة بحيث جعلت المركبة تهبط على القمر بعيداً عن البقعة المطلوبة بمقدار ٤٠ كيلومتراً ، وتعتبر عملية الاطلاق هذه ادق عملية قامت بها الولايات المتحدة حتى ذلك الوقت . لكن المراقبين على الأرض رغبة منهم في انزال المركبة في البقعة المحددة ، أصدروا أوامرهم اليها لتقوم بمناورة بسيطة ، غير ان هذه التعليمات كادت تهدد بفشل العملية بكاملها . لكن الوعي العلمي تمكن بعد مداولات واستشارات اسهمت بها الأدمغة الالكترونية ، من انزال المركبة الفضائية بسرعة ١٣ كيلومتراً في الساعة بفضل صواريخ عكسية التزمت بالأوامر الأرضية .

وعند وصولها الى سطح القمر بسطت المركبة « سرفايور — ٥ » تلك العلبة الثمينة الآنفة الذكر ، وبدأت ستة مصادر راديومية تطلق دقائق « الفا » على مساحة قمرية تبلغ ٢٥ سنتيمتراً مربعاً . وكانت السوابر في داخل العلبة تسجل عدد وسرعة دقائق « الفا » المرتدة عن الأرض وتبثها الى الأرض عبر جهاز راديوي في داخل المركبة « سرفايور » ، مما مكن العلماء على الأرض من درس أشكال الدقائق المرتدة ، والحصول على المعلومات العلمية المبينة في الجدول المبين :

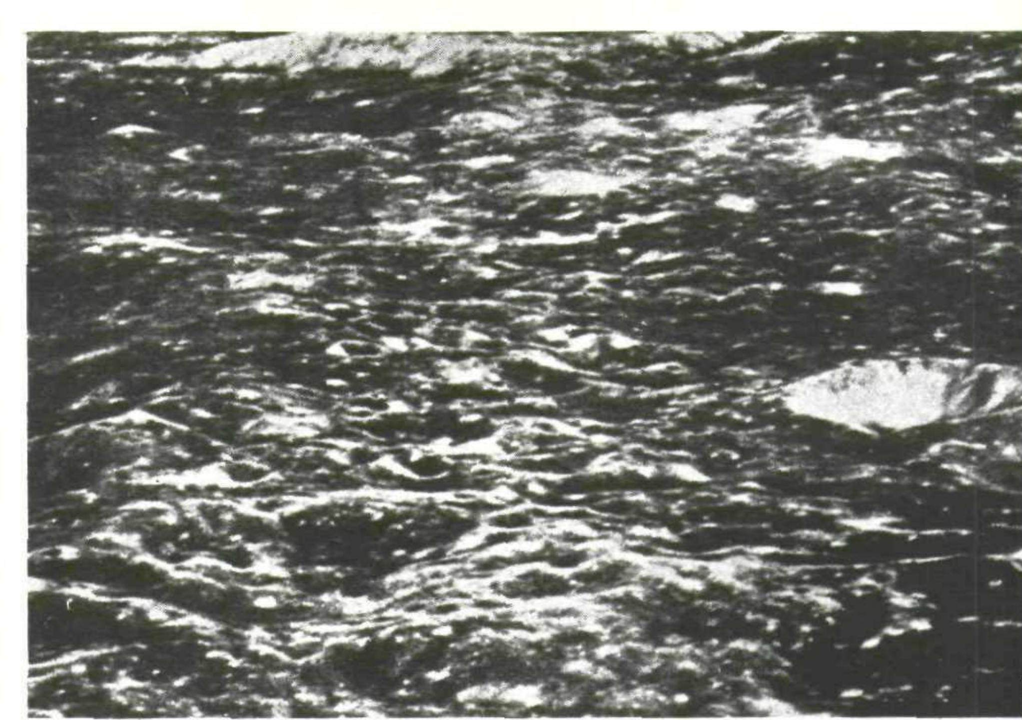
وهذا دليل على خطأ لا بد ان يحدث في عملية دقيقة كهذه .

ولما كانت الأجهزة الخاصة بتحليل دقائق « الفا » قادرة على الاحساس بهذه الدقائق الاشعاعية المرتدة عن جميع العناصر ، ما عدا الايدروجين والهيليوم والليثيوم ، اضاف الباحثون الى اجهزتهم سوابر « البروتون » ، التي تحس بالقذائف البروتونية المرتدة عن



« لونا — ٩ » وهي نموذج للمركبات السوفييتية التي دارت حول القمر وهبط بعضها على سطحه .

العنصر	النسبة المئوية للذرات الموجودة
كربون	اقل من ٣ ٪
اوكسجين	نحو ٥٨ ٪
صوديوم	اقل من ٢ ٪
مغنيزيوم	نحو ٣ ٪
الومنيوم	٦,٥ ٪
سيليكا	نحو ١٨,٥ ٪
كبريت ، حديد ، كوبالت ونيكل	نحو ١٣ ٪
اثقل من النيكل	اقل من ٠,٥ ٪
المجموع	١٠٤,٥ ٪



عندما كانت الشمس فوق رؤوس رواد « ابوللو — ٨ » وهم بالقرب من الوجه الخلفي للقمر التقطوا هذه الصورة التي تظهر معالمه بوضوح .

غطاء مطلي بالذهب يحتوي على جهاز يطلق دقائق الفا باتجاه بقعة معينة من سطح القمر وتقوم سوابر بقياس سرعة الدقائق المرتدة لترسل ذلك الى الأرض حيث تحلل التربة كيميائياً .

عناصر البورون والنيتروجين والفلورين والصوديوم والمغنيزيوم والألمنيوم والسيليكا والفوسفور والكبريت والكلور والبوتاس ، ولا سيما اذا كانت هذه العناصر موجودة في أرض ما . وقد أثبتت المركبة « سرفايور — ٥ » انه يوجد مركبات الحديد على سطح القمر ، وذلك عن طريق مغنطيس قوي وضع في وسادة قدم المركبة ، اذ انه ظهر في الصورة عند الهبوط ، طبقة رقيقة من الغبار ترتفع الى اعلى . وبالمقابلة مع عمليات مماثلة على الأرض بين التراب الممزوج ببرادة الحديد وقطعة من المغنطيس ثبت للعلماء وجود مركبات الحديد .

وفي ١٠ نوفمبر سنة ١٩٦٧ ، هبطت المركبة « سرفايور — ٦ » في منطقة على سطح القمر تكثر فيها الفوهات البركانية ، وبعد ٤ ساعات ونصف الساعة من هبوطها بدأت أجهزة دقائق « الفا » عملها ، وبعد التأكد من صلاحية عمل هذه الأجهزة ، صدرت التعليمات للسوابر المحمولة للقيام بمهمتها، حيث استطاعت ان تجمع في ظرف ٦ ساعات معلومات غاية في الدقة ، والتفصيل تفوق المعلومات التي جمعتها المركبة « سرفايور — ٥ » .

وفي عام ١٩٦٨ ، اطلقت المركبة الفضائية « سرفايور — ٧ » ، وهبطت برفق على بعد نحو ثلاثة كيلومترات من الهدف المحدد لها ، وهو فوهة « تيخو » التي تعتبر احدى الفوهات البركانية الرئيسية المنتشرة على سطح القمر . ومن أعماق هذه الفوهة البركانية تمتد تشكيلة من الأخاديد والحروف على مدى مئات الكيلومترات من سطح القمر . وكان العلماء يأملون من قيامهم بهذه العملية جمع معلومات وافية عن تركيب هذه البقعة من البحار الواطئة الاستوائية وخاصة بعد ان كشفت دراسات سابقة عن انها غنية بالباسالت . ولما كانت الفوهة البركانية هذه قد نتجت عن نيزك كبير ونشاط بركاني شديد ، فقد بات من المحتمل ان تكون المواد التي قذفت الى الخارج واحاطت بالفوهة البركانية المذكورة مفتاحاً لمعرفة تركيب القمر الداخلي وتاريخه الجيولوجي .

تراب القمر ينزل الى الأرض

لم تكن المهمات التي قامت بها المركبات الفضائية « اوربيتر » و « سرفايور » لدرس طبيعة سطح القمر وتركيبه الجيولوجي سوى تمهيد لعملية انزال رواد فضائيين على سطح ذلك الكوكب ، وضمان لتعيين المناطق التي تصلح لتحقيق هذه المهمة . وقبل ان ينطلق رواد « ابوللو » الى القمر ، ويعودوا منه الى الأرض اقامت الولايات المتحدة مختبراً لدراسة تربة القمر التي كان ينتظر ان يعود بها الرواد بعد سنة من اقامة المركز ، وهذا دليل على الثقة التامة بتخطيط العلماء في جو تتخلله عوامل عديدة وغريبة . وعندما عاد الرواد بحمولتهم من التراب القمري ، حظيت المختبرات العالمية على اختلافها بقسط من ذلك التراب للاسهام في تحليله ومعرفة محتوياته وخصائصه الجيولوجية .

هذا وقد جاءت الدراسات مجمعة على ان تركيب التراب القمري يشبه تراب الأرض الى حد بعيد ، مع اختلافات بسيطة لا تصلح لأن تكون اساساً للقول بأن تركيب القمر يختلف عن تركيب الأرض بالجوهر . وكان معظم هذه الفروق من جهة المظهر ، اذ ان معظم الصخور القمرية رمادي اللون ، وربما كان ذلك بسبب تأثير حرارة الشمس لعدم وجود غلاف هوائي يحمي سطح القمر . وقد تبين من دراسة اجريت على قطعة فصلت من صخرة كبيرة بيضاء شاهدها الرواد على منحدر قمة فوهة « فراماورو » تتخللها خطوط وعروق معتمة ، ان عمر تلك القطعة الصخرية يساوي عمر الأرض اي ٤٥٠٠ مليون سنة ، وتجمع الآراء على ان القمر كان يؤلف مع الأرض جرماً واحداً ، وهنا يقول القرآن الكريم :

« اولم ير الذين كفروا ان السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي افلا يؤمنون » .

ان آخر رحلة قامت بها الولايات المتحدة الى القمر كانت عن طريق المركبة الفضائية « ابوللو — ١٧ » . ومن أهم ما حققته هذه الرحلة هو اقامة محطة سادسة من مئات المحطات التي أقيمت سابقاً في مواقع مختلفة على سطح القمر خلال رحلات « ابوللو » الخمس السابقة . وقد عاد رواد « ابوللو — ١٧ » من سطح القمر بعينات من الصخور والأتربة القمرية بلغت اوزانها ٢٦٩ كيلوغراماً . وعن طريق تحليل هذه العينات سيكون لدى العلماء مزيد من المعلومات التي تقودهم الى معرفة الكثير عن التركيب الجيولوجي للقمر وعلاقته بالأرض ، كما يتوقع ان تفضي نتائج الاستكشافات القمرية الى تفهم افضل للأرض والمجموعة الشمسية ■

نقولا شاهين — بيروت



* « معجم الأخطاء الشائعة » هو عمل أدبي ضخم يمثل سنوات طويلة من البحث والاستقصاء انفقها واضعه العلامة الكبير الأستاذ محمد العدناني ليخلص لغة الكتاب من كثير من الأغاليط التي تنحرف بها عن جادة الضاد .

وقد استطاع العلامة العدناني ان يرصد في معجمه نحو ١٢٠٠ من هذه الأغاليط الشائعة ، وكان ديدنه ان يتحرى كل عبارة في عشرات من المعاجم وأمهات كتب اللغة قبل ان يرجح اصوب الاراء فيها ، مبيناً وجه الحقيقة ، مقيماً عليه البراهين من كتاب الله والأحاديث الصحيحة وفحول الشعراء .

ويعتزم الأستاذ العدناني ان يصدر لهذا المعجم النفيس جزءاً ثانياً يسجل فيه ما وقع عليه من أخطاء اخرى ، كما يعتزم اصدار طبعة ثانية من المعجم نشداناً لمزيد من الضبط والتدقيق .

وقد نشرت المعجم مكتبة لبنان في طباعة كاملة الشكل أنيقة الاخراج ، واشتمل المعجم على فهارس لمادته ومراجعه تتمم العمل الكبير الذي اضطلع به المؤلف الدؤوب .

* صدر عن جامعة الكويت كتاب « احصائيات جذور معجم لسان العرب باستخدام الكمبيوتر » من وضع الدكتور علي حلمي موسى ، وهو يتألف من قوائم لمفردات هذا المعجم الكبير استعين على اعدادها بآلات الكمبيوتر التي شاع استعمالها في اغراض الصناعة .

* يتابع الأستاذ عامر العقاد البحث عن الفصول المتناثرة التي كان ينشرها عمه العلامة الراحل الكبير عباس محمود العقاد في الصحف والدوريات ، وقد استطاع ان يصدر اخيراً كتابين كبيرين من هذه الفصول عنوان اولهما « آراء في الادب والفنون » وعنوان الثاني « دين وفن وفلسفة » ، ونشرت الكتابين الهيئة المصرية العامة للكتاب .

* الأديب الراحل الأستاذ محمود الشرقاوي صدر له اخيراً كتاب ادبي ممتع عنوانه « ابراهيم ناجي الشاعر والانسان » وهو من منشورات مكتبة الأنجلو المصرية . ولئن اقتصر عنوان الكتاب على الشاعر ناجي ، فمن فصوله الأخرى ما تناول فيه ولي الدين يكن وأمين الخولي واسماعيل مظهر والأنسة مي وكامل الكيلاني وابراهيم المصري .

والى جانب الدراسات الأدبية التي اشتمل عليها هذا الكتاب ، فقد تضمن ذكريات خاصة للمؤلف مع هؤلاء الاعلام تلقي ضوءاً كاشفاً على حياتهم ومناهج تفكيرهم .

* ومن كتب الدراسات الأدبية التي ظهرت اخيراً ما يلي : « اسرار لغوية » للاستاذ ملحم البستاني طبع بيروت ، و « الحماسة في شعر الشريف الرضي » للاستاذ محمد جميل شلش ونشر وزارة الاعلام العراقية ، و « الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي » للاستاذ الدكتور عبده بدوي وطبع مصر ، و « دراسات في اللغة العربية » للدكتور خليل يحيي نامي ونشر دار المعارف ، والجزء الأول من « ادباء العراق المعاصرون » للاستاذ خليل ابراهيم عبداللطيف طبع العراق .

* الأديب القاص الشاعر الطبيب الدكتور عبد السلام العجيلي اصدر كتاباً جديداً عنوانه « السيف والتابوت » فيه طائفة من المحاضرات التي القاها في المنتديات المختلفة عن الأدب والطب والشعر والقصة والتاريخ المعاصر .

والكتاب يتميز بسهولة تناوله لهذه الموضوعات تناولا يجتذب اهتمام السامعين والقارئين على حد سواء وقد نشرته وزارة الثقافة السورية .

* « سوق الثلاث » عنوان المجموعة القصصية التي صدرت للفنان الأستاذ حسن عبد المنعم منشورة في سلسلة « روايات الهلال » .

واقاصيص هذه المجموعة مستمدة مادتها من سوق الحياة اليومية ، حتى ليحس القارىء وهو يطالعها ان جميع اشخاصها معروفون لديه يلقاهم كل يوم في مغداه ومراحه ، وليست مشكلاتهم ببعيدة عن اهتمامه . وللمؤلف اسلوب مباشر به يرسم لوحاته القصصية فاذا هي قطعة نابضة بالحركة والصدق والجمال .

* وفي باب الرواية صدرت للاستاذ عزمي لبيب رواية عنوانها « الفيران والرجال » في سلسلة روايات الهلال .

وصدرت بعنوان « اخر العنقود » مجموعتان قصصيتان لاديبين هما الدكتور سعيد عبده ، وقد نشرت مجموعته في سلسلة كتاب الهلال ، والأستاذ يوسف الشاروني وقد نشرت مجموعته في سلسلة كتاب اليوم .

وصدرت للقاص السوري الأستاذ جورج سالم مجموعة اقاصيص عنوانها « حوار الصم » كما نشرت وزارة الاعلام العراقية مجموعة اقاصيص للاستاذ يحيى يخلف عنوانها « المهرة » .

* أديبة شابة اقعدها المرض سنوات تقرب من عشر فاتجهت بكل خواطرها وآمالها « نحو الأعالي » واصدرت كتاباً بهذا العنوان نشرته دار الأندلس في لبنان .

والأديبة الشابة هي اميلي يوسف حداد ، التي انساها الأدب آلامها واسباب قنوطها ، وتسامى بروحها الى عوالم من السعادة والخير والتواد ، وهي العوالم التي رسمت صورها في كتابها ، باسلوب رشيق ، وعبارات تصارع الألم . وللكتاب مقدمة بقلم شقيقها المحامي الأستاذ جورج يوسف حداد .

* ظهر في بيروت كتاب « مختار الأغاني في الأخبار والتهاني لأبي الفرج الاصبهاني » للعلامة جمال الدين محمد بن منظور الأفريقي مؤلف معجم « لسان العرب » المشهور ، وقد حققه في اثني عشر جزءاً كبيراً الأستاذ زهير الشاويش وصدر عن المكتب الاسلامي . ومعروف ان ابن منظور جمع مادة هذا الكتاب من « كتاب الأغاني » وادخل عليها التنقيح والاضافة والحذف ، فاختصر الكتاب في نصف حجمه .

وكانت الهيئة المصرية العامة للكتاب قد شرعت في طبع « المختار » فصدرت منه خمسة اجزاء وتوقف بعدها هذا المشروع حتى اخرجه كاملا الأستاذ الشاويش .

* صدر الجزء الأول من « ديوان ابن الرومي » محققاً بمعرفة الدكتور حسين نصار ، وقامت بنشره الهيئة المصرية .

* ثلاثة دواوين جديدة صدرت اخيراً هي « اوراق الليل » للشاعر العراقي نعمان ماهر الكنعاني وقد طبعته مطبعة المعارف ببغداد ، و « اعترافات انسان » للشاعر المصري سعد دعبيس ، و « المبحرون مع الرياح » للشاعر الكويتي خليفة الوقيان .

* صدر كتابان كبيران للدكتور صبحي المحمصاني عن دار العلم للملايين هما « الدعائم الخلقية للقوانين الشرعية » و « النظرية العامة للموجبات والعقود في الشريعة الاسلامية » .

* الاستاذ فاروق منصور صدر له كتاب « فضائل القرآن » عن دار الزهراء .

* أصدر الدكتور شريف حتاته كتاباً عنوانه « رحلة الى آسيا » سجل فيه خواطره بعد زيارته لعدد من البلدان الاسيوية ، وظهر الكتاب في سلسلة « اقرأ » لدار المعارف .

ويصدر قريباً للأديب الرحالة العراقي الأستاذ ناجي جواد كتاب عنوانه « رحلتي الى افريقيا الخضراء » يسجل فيه انطباعاته بعد زيارة تونس والجزائر والمغرب .

* من كتب العلوم التي نشرت اخيراً « تصنيف النباتات الزهرية » للدكتور فكري ابراهيم سعد ونشر الهيئة المصرية ، و « الكيماويات في الكون والحياة » للدكتور عبد الملك ابو عوف ونشر الهيئة المصرية .

* نشرت مكتبة الأنجلو المصرية كتاباً عنوانه « دراسات دبلوماسية » للأستاذ محمد مختار الزقزوقي فيه تقديم وتعريف بطبيعة حياة رجال السلك الدبلوماسي .

* يشترك الدكتوران السيد يعقوب بكر ورمضان عبد التواب في ترجمة الأجزاء التالية من كتاب « تاريخ الأدب العربي » للمستشرق الالماني الشهير بروكلمان . وتنشر الكتاب دار المعارف ■

كُتُبٌ مُهْدَاة

حظيت مكتبة القافلة مؤخراً بالمؤلفات التالية:

* العدد التاسع من رسالة « المعاهد العلمية » ، التي تصدر عن معهد الرياض العلمي التابع للرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية ، وهي مجلة دورية تعنى بنشر الموضوعات التربوية والثقافية والدينية واللغوية التي يسهم بتحريرها نخبة من اساتذة المعهد وطلابه . وتقع المجلة في نحو ١٤٠ صفحة من الورق الصقيل وقد طبعت على مطابع دار الأصفهاني في جدة .

* الجزء الثاني من ديوان « ذو الرمة » وهو من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ويتضمن شرحاً وافياً لقصائد هذا الشاعر العربي الفحل على يد الامام ابي نصر أحمد بن حاتم الباهلي صاحب الأصمعي . . وقد حققه وقدم له الدكتور عبد القدوس ابو صالح .

* الأجزاء الأربعة من « شرح مقامات الحريري » لأبي العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي ، وتحظى هذه المقامات الرفيعة بمكانة أدبية مرموقة بين دواوين الشعر الراقية التي تعتز المكتبة العربية باقتنائها ، باعتبارها رصيداً ثراً وسفراً نفيساً يتدارسه العلماء العرب في المدارس والمعاهد ، ومرجعاً خصباً يجد فيه الباحثون ضالتهم . وتحوي هذه الأجزاء أجود ما زخرت به الآداب العربية منذ العصور الجاهلية الأولى في جزيرة العرب الى مطالع القرن السابع الهجري في بلاد الأندلس ، مما نضحت به أخيلة الشعراء وجادت به قرائح البلغاء وهدرت به شقائق الخطباء ورعفت به أقلام الكتاب والرواة من قصص وأخبار . . وتقع هذه الأجزاء في نحو ٢٠٠٠ صفحة من الحجم المتوسط ، وهي مذيلة بالرسائل التي دارت حول هذه المقامات ، وبالفهارس الفنية التي تضم حواشيه وتجمع قاصية الى دانيه . . وقد قام بتحقيقها الأستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم ، وهي من نشر المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة .

* الجزءان الأول والثاني من كتاب « الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في التاريخ » للأديب السعودي الأستاذ عبدالله بن سعد الرويشد ، ويتضمن المؤلفان معلومات ودراسة مفصلة عن حياة الامام واصول دعوته وكتبه ورسائله وفتاويه وآراء الباحثين والمستشرقين في دعوته الاصلاحية . وقد صدر المؤلفان بتصدير من العلامة الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ، عضو المجمع اللغوي في القاهرة ، ورئيس لجنة الفتوى بالأزهر ، ضمنه إعجابه وتقديره لهذه الدراسة النفيسة التي تناولت آثار هذا الامام المجتهد والداعية المرشد ، وأفكاره وآراءه السديدة في تاريخ الاصلاح الديني في العصر الحديث . وهما من نشر مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة .

* « قادة الفكر الاسلامي عبر القرون » للأديب السعودي الأستاذ عبدالله بن سعد الرويشد ، وهو سفر قيم يؤرخ للفكر الاسلامي وائمته واعلامه عبر العصور جيلا بعد جيل منذ القرن الثاني الهجري حتى اليوم ، ويحتوي على نحو ثلاثين دراسة لكبار المفكرين في الاسلام في القديم والحديث . وقد صدر المؤلف بتقدمة من الأستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي ، رئيس رابطة الأدب الحديث بالقاهرة ، نوه فيها بهذا المجهود الجليل الذي بذله المؤلف حتى جاء كتابه على هذا النمط الجميل . ويقع الكتاب في نحو ٤٨٠ صفحة من الورق الصقيل . وهو من نشر مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة .

* « ايام في تونس » للاستاذ عبدالله بن سعد الرويشد ، وهو سفر قيم سبق ان نشرت فصوله من قبل على صفحات جريدة الجريدة بالرياض ويتحدث المؤلف فيه بأسلوب شيق ممتع عن انطباعاته التي حملها عن أرض تونس الخضراء وعراقة تاريخها ومناظرها الطبيعية ومساجدها الأثرية ومعالمها التاريخية ومؤسساتها الاسلامية والعلمية والثقافية والاجتماعية ، ومكتباتها العامرة بنفائس المخطوطات . ويختم المؤلف فصول الكتاب بوصفه الرحلة الميمونة التي قام بها جلالة الفيصل عام ١٣٨٦هـ لتونس . وقد صدر الكتاب بتصدير من الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي قال فيه بأنه « من أجمل النماذج لأدب الرحلات وأجلها » ، وهو من نشر مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة .

* « دليل الباحثين في شرح خطوات البحث » للاستاذ عبد الفتاح خضر ، و « البيروقراطية » للاستاذ محمد نجيب ، و « ادارة الميزانية في المملكة العربية السعودية » للاستاذ خالد العاني ، و « نظرة في تعليم المحاسبة أصولا وممارسة » للاستاذ صالح جاد الله . . وهي جميعها دراسات تحليلية قامت باعدادها ادارة البحوث والاستشارات التابعة لمعهد الادارة العامة في الرياض .

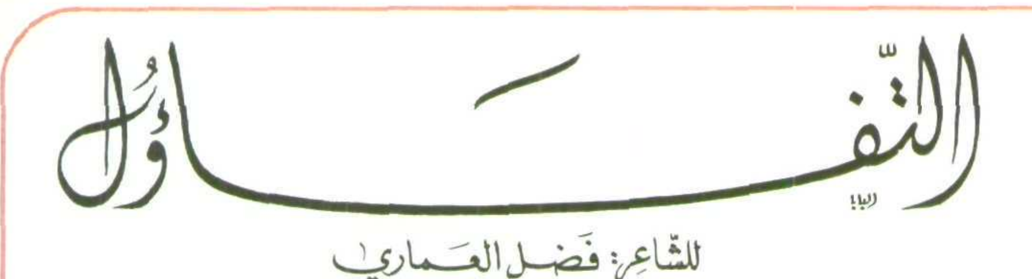
* « الغزو الفكري في العالم العربي » للاستاذ عبدالله عبد الجبار ، وقد صدر ضمن سلسلة المكتبة الصغيرة لصاحبها الاستاذ عبد العزيز الرفاعي ، وتم طبعه على مطابع الجزيرة بالرياض .

* العدد السادس عشر من مجلة « الادارة العامة » ، الدورية التي يصدرها معهد الادارة العامة بالرياض وقد اشتمل هذا العدد على عدة بحوث حول التأديب الاداري ، وتطبيق مفهوم مدخل التنظيم الحديث في ميزانية الدولة ، ودراسة حول ما تضمنه نظام المناقصات في المملكة العربية السعودية ، ثم الأفكار العامة التي يقوم عليها نظام الموظفين العام .

* « فلسطين الثائرة » مسرحية شعرية من أربعة فصول للشاعر الكبير عدنان مردم بك يصف فيها الشاعر الواقع الأليم لمأساة فلسطين ، والحركات النضالية التي خاضتها الأمة العربية ولا تزال لاستعادة هذا الوطن السليب . وتقع المسرحية في نحو ١٢٥ صفحة من الحجم الصغير ، وهي من منشورات عويدات ، بيروت .

* « تاريخ الفن عند العرب والمسلمين » و « تاريخ العلوم في الاسلام » وكلاهما للاستاذ الأديب أنور الرفاعي . وفي المؤلف الأول يتناول الكاتب الفن العربي الاسلامي ، وفن العمارة الاسلامية في بنـــاء المدن والمدارس والمساجد والقصور والقلاع والحصون والفنون الجميلة الممثلة بالرسم والتصوير والنقش والنحت والزخرفة والكتابة والخط ، والفنون التطبيقية كالحفر والفسيفساء . أما المؤلف الثاني فيتناول الكاتب فيه الثقافات السابقة للاسلام في الشرق الأدنى ، وخصائص الفكر العربي وأثر الاسلام فيه ، والمؤسسات العلمية ، والمكتبات والعلوم الدينية ، والعربية والاجتماعية والطبية والصيدلانية والطبيعية والرياضية والفلكية ، ثم العلوم الفلسفية . والمؤلفان مزودان بالرسوم والأشكال المعبرة . وهما من منشورات دار الفكر بسوريا .

* « نفاق اليهود » لمؤلفه بالالمانية الدكتور مارتن لوثر ، زعيم الحركة البروتستانتية في المانيا في القرن السادس عشر ، ونقله الى العربية الاستاذ عجاج نويهض ، وقدم له الاستاذ شفيق الحوت . . ويكشف هذا الكتاب عن غرائز اليهود ومخططهم العالمي ، وادعاءاتهم الباطلة . وهو من نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت ■



للشاعر: فضل العماري

ودّع الحزنَ وردّدْ بالسحرْ ... أغنياتٍ تُكْسِبُ الحس نظر
غن ما شئتَ بترنيمٍ ولا ... ترهق النفسَ بتردادِ الفكر
قد ثوتْ نفسُكَ في الليلِ ولَم ... تدْرِ ما حلم الليالي والصور
تَلْطِمُ الخدَ بيأسٍ مثلما ... لطمَ الخدَ عجوزٌ مُحتَضِر
أو كسيحٍ هجرَ العمر الذي ... زجه في مظلماتٍ كالحفر
أو عروسٍ نثرتْ أزهارها ... حين أمستْ تَذْرِفُ الدمع مَطر
أو عليلٍ فَوْقَهُ اردانُه ... باتتْ الأحزانُ فيه تستعر
أنت مصباحٌ تراخى ضووُهُ ... فبدا للناس عمشاء البصر
أنت ينبوعٌ غدتْ أمواجُه ... تشبه البحرَ اذا غابَ القمر
أنت منبوذٌ تناءى صحبُه ... بينما المجلسُ يشدو بالوتر
لِمَ تبكي دائماً في قسوةٍ ... وتظنُ الخلقَ أشباهُ النمر ؟
لِمَ تَلهو بالاسى في خلوةٍ ... لم تحسو الهم كالكأس النضر ؟
لِمَ هذا الوجه يبدو شاحباً ... كرياضٍ جُرِدَتْ منها الزهر ؟
ربما قلت أأحيا فرحاً ... والليالي لم تدعني انتصر
ربما قلت أأغدو باسماً ... وأنا مذ كنت طفلاً لم أسر
ربما قلت أأنسى صفعة ... من حميم هي في القلب حجر
ربما عللت كي تُرضى الاسى ... هل ترى الأحزان تأتي بالظفر؟
هل ترى الأعصاب في آصارها ... تُكْسِبُ الأحمق رأياً أو حذر ؟
نم قرير العينِ واصدح كالذي ... تفعل الأطيارُ في أعلى الشَجر
أبْعِدِ القلبَ عن الهمِ ولا ... تجعلْ القلبَ كحوضٍ مندثر
وانتظر في كل صبح بَسمة ... تفتح اللب وتحلو كالدرر
انتظرها من رفيق صادق ... أو وليد نفسه لم تكفهر
انتظرها لذة من زمن ... دائم الصفو اذا نام الكدر
وارض بالمقسوم عيشاً هانئاً ... هكذا شاء الهي وقدر

فضل العماري — الدمام





عيّنة من السليكون المطاط التي تحتمل درجات الحرارة العالية وهي هنا تتعرض لحرارة عالية جدًا بلغت خمسة آلاف درجة تستطيع اختراق الفولاذ بل وإسالته في ثوانٍ .

راجع مقال "الميثانول وإمكان استعماله كوقود ومصدر لصناعة البتروكيمائيات"

تصوير: "اوشتكيستد نيوز"



الجسر القنطري في مدينة «موستار» يعد من روائع الآثار الإسلامية في يوغسلافيا أيام العصر العثماني، ويبلغ عمر هذا الجسر أكثر من أربعمائة عام، ويبدو في الأفق البعيد عدد كبير من المآذن وإحدى القباب.

راجع مقال «الإسلام في الشرق الأدنى». تصوير: جاكي كرتس